مؤسسة ترجمان للترجمة والنشر

رواية

لا شيء

جين تيلر

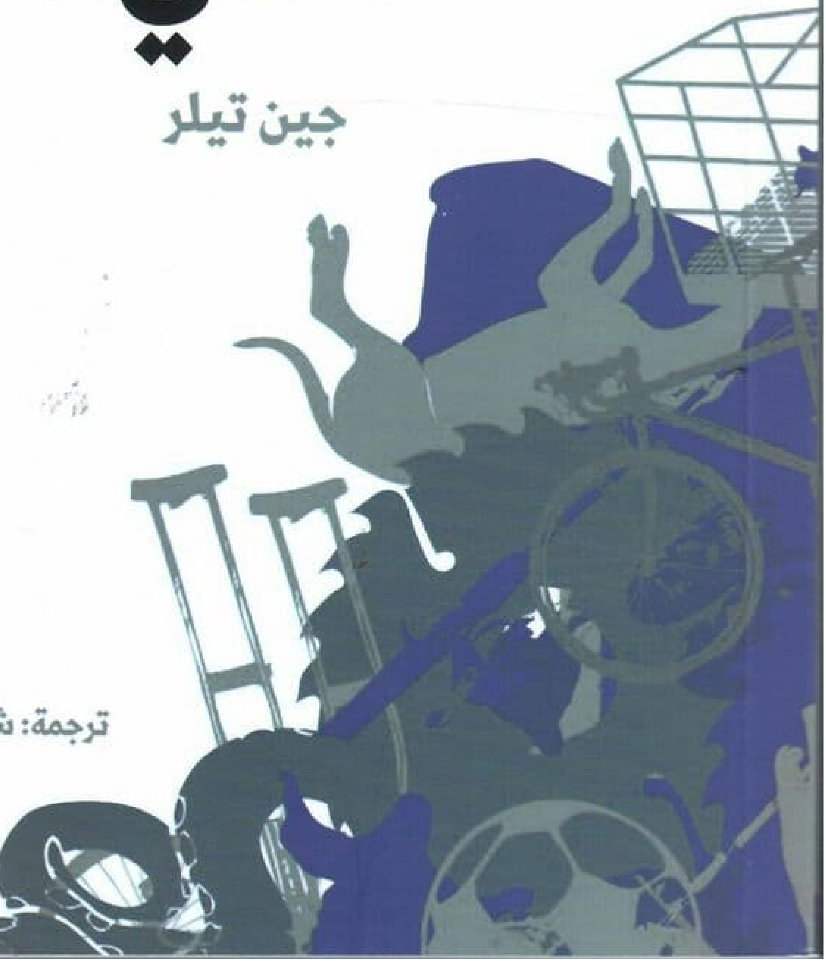

ترجمة: شهد المخلفي

صوفيا

لا شيء

جين تيلر

ترجمة شهد المخلفي

صوفيا للنشر والتوزيع

مكتبة 663

مكتبة Telegram @t_pdf

كلمة الغلاف

أدرك بيير أنطون أن ليس للحياة أي معنى عندما كان في الصف السابع في المدرسة، حينها غادر الفصل إلى أقرب شجرة؛ تسلّقها وأقام فيها. لم يستطع زملاؤه ثنيهه عن ذلك. ولا حتى برميه بالحجارة. وهكذا قرروا ليثبتوا لبيير أنطون أن للحياة معنى، أن يُراكموا أمامه أعزّما يملكون: جبال يد وزوج أحذية جديد. كانا أوّل العطايا. وفيما تتراكم تلك التضحيات لتأخذ منحًا خطيرًا يتسلّل الشّك في صدور الزملاء من جدوى ما يفعلون لإنزال أنطون عن الشجرة، وكيف يُثبتون له أن للحياة –حقًا معنى.

كتابٌ ممتع القراءة. حظي بتقدير عالٍ حول العالم؛ ولا يفّت! "بين أشهر روايات الإثارة التي حظيت بشعبية في العصر الحديث الرواية التي كتبتها الدينماركية جين تيلر بعنوان "لا شيء"والتي تدور أحداثها حول طفل في الثالثة عشر من عمره يعاني من الإكتئاب، لكنه يثير تساؤلات كبيرة حول الحياة رواية مدهشة بحق."

"لا شيء" .. رواية ترصد الاكتئاب والحيرة على أنهما تساؤلات وجودية

الخوف حالة انفعاليّة يحسّها كل إنسان؛ وربما يستعيد الإنسان كل خبرة وجدانية مخيفة يصادفها في طفولته بشكل لا شعوري في كبره»؛ وربما يركز مشاعره في المواقف والخبرات المشابهة» فيخافها .

وقد تناولت الأعمال الأدبية بإسهاب عدة أشكال من الخوف يواجهها الإنسان في حياته؛ من خلال روايات الرعب والإثارة. ذلك النوع من الروايات الذي نال الأطفال منه قدرًا لا بأس به.

وتقول صحيفة «ديلي تلغراف» البريطانية في تقرير حديث لها: إنه من بين أشهر روايات الإثارة التي حظيت بشعبية في العصر الحديث» كانت تلك الرواية التي كتبتها المؤلفة الدنماركية جين تيلر بعنوان الا شيء»ء والتي تدور أحداثها حول طفل في الثالثة عشرة من عمره يعاني الاكتئاب» لكنه يثير تساؤلات كثيرة حول الحياة.

خوف سارتر

وقالت «تيلر» في تصريحات لها خلال مهرجان «هاي» في مدينة سيغوفيا الإسبانية: «الأطفال يخافون من لا شيء». لكن «تيلر» تقصد بكلمة «لا شيء» المعنى نفسه الذي كان يقصده جان بول سارتر أو إيميلي ديكنسون» فهي تقصد أن أطفال اليوم يخشون عدم وجود شيء مهم في هذه الحياة.

ولفتت «ديلي تلغراف» إلى أن هناك سؤالًا لا يزال يثير الحيرة في هذا الصددء ذلك السؤال الذي ربما لم يخطر ببال المعلمين أو الآباء» وهو : هل الأطفال والمراهقون بحاجة إلى مواجهة حالات الاكتئاب والتحدث عنها؟

في عام 2000 كلفت وزارة التعليم الدنماركية «تيلر» بتأليف رواية للشباب» حيث ثبت فيما بعد أنها واحدة من أكثر القصص التى نشرت فى العصر الحديث استقطابًا. وتدور أحداث رواية «لا شيءا؛ التي أعيد نشرها بالإنجليزية هذا العام حول صبيء عمره 13 عامًا ، يعاني الاكتئاب» حيث يترك مدرسته» ويقول لزملائه: لا شيء يهم؛ لذلك فلا شيء يستحق القيام به كل شيء يؤول إلى النهاية.

أزمة اكتئاب

واعترفت تيلر بأنها كتبت القصة عندما كانت في أوائل الثلاثينيات من عمرها حيث كانت هي نفسها تمر بأزمة اكتئاب. وأضافت: «شعرت أنها قصة طبيعية جديرة بأن تُحكى» فقد كنت أستهدف أن يقرأها الأطفال ممن هم في سن المراهقة» ذلك أن الأطفال بحاجة إلى إثبات أن هناك شيئًا ما له معنى في الحياة» وهم أكثر انفتاحًا لمناقشة القضية في سن صغيرة.»

جريدة البيان

مقدمة المترجمة

رواية من وحي الخيال، تتمحور حول البحث عن المعنى، وهل العدم أساس كل شيء وليس مصيره وحسب. بدأت رحلة البحث بفكرة من مجموعة أطفال، كانت أعمارهم بين 13 و14 عامًا لإثبات الوجودية بأن لكل شيء في هذه الحياة معنى، باستثناء الطفل "بيير أنطون"، الذي تخلى عن كل شيءء واتخذ من شجرة الخوخ بيتًا له عندما أدرك أنه لا شيء يستحق يستحق؛ لأن بداية كل شيء ليس سوى نهاية له.

وبين صراع الوجودية والعدمية تعددت المفاهيم وتفسيرات تاريخ عريق، جاءت رواية " لا شيء"، بمفهوم واحد على طريقة جين تيلر، أثبتت أن العلاقة طردية، لا مكان للحق والباطل بقدر ما هو أن المعنى أمر حتمي على اختلاف الأصعدة.

لذلك ترجتٌ هذه الرواية؛ لما لها من اتجاه فلسفي عميق يمس الأساس الكوني، إضافة إلى أثر "جين تيلر"، الذي يثبت مدى قوة بصيرتها الأدبية. فقراءة رواية "لا شيء"، ليست فعلا مألوقًا لأنها أعمق من أن تكون صورة فحسب؛ فهي رؤية تجسّد واقع هذا العالم من خلال شخصيات خيالية.

شهد المخلفي

الفصل الأول

«لَا شَيْءَ مُهِمٌّ، وَلَا شَيْءَ يَسْتَحِقُّ».

أَدْرَكْتُ ذَلِكَ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ!

الفصل الثاني

غادر بيير أنطون المدرسة عندما أدرك أن لا شيء يستحق فعله، واللاشيء تعني أي شيء على كل حال، أما نحن فبقينا.

كان معلمونا يحاولون توزيع المهام الفصلية لنا بعد مغادرة بيير أنطون، إلا أن جزءًا منه بقي عالقًا في ذاكرتنا! ولربما كان هذا هو السبب وراء كل ما حدث.

في الأسبوع الثاني من أغسطس كانت الشمس حارقة، وهذا ما جعلنا نمضي بتثاقل، يثار غضبنا بسهولة، فضلاً عن الطريق المتوقد الذي لسع أحذيتنا، رؤية ثمار التفاح والكمثرى الناضجة بما يكفي لقطفها وقذفها!

الصف السابع A

كان اليوم الدراسي الأول بعد عودتنا من الإجازة الصيفية، تنبعث رائحة المنظفات من الصف، ويشع بريق النوافذ، اللوحة خالية تمامًا من غبار الطباشير بعد أسابيع عديدة من الهجران.

كانت الطاولات قد رُتبت على صفين بشكل مستقيم لأول مرة، حيث بدت كرواق مشفى، وقد وجدنا مقاعدنا على نفس الحالة التي تركناها عليها، فوضوية وغير مرتبة. ثمة وقت لكل شيء، أشياء متعِبة فوضوية، ولكن حتمًا ليس اليوم.

رحّب بنا السيد إسكيلدسن بنكتته السخيفة المعتادة في بداية كل عام دراسي:

«استمتعوا اليوم أيها الأطفال، فليس هناك شيء كالإجازة لولا وجود شيء كالمدرسة».

ضحكنا جميعًا، ليس لأنها مضحكة، بل لأنها خرجت منه على نحو مضحك.

وقف أنطون معلنًا:

«لا شيء مهم، ولا شيء يستحق فعله، أدركت ذلك منذ وقتٍ طويل».

ثم انحنى لوضع أدواته المدرسية داخل الحقيبة، أومأ برأسه مودعًا رفاقه بنظرة باردة، وغادر الصف دون أن يُغلق الباب خلفه. ولأول مرة أرى الباب مُشرَعًا على مصراعيه كهاوية، بإمكانه ابتلاعنا أنا والجميع لو سمحنا بذلك. الصمت المريب قد أخبرني أن آخرين قد غادروا أيضًا، حين ألقيت نظرة على مَن حولي أحسست بهذا الشعور. كان يعني ذلك شيئًا، شيئًا ما لم يتجرأ أحد على قوله بصوت عالٍ، وتُرك هكذا دون أن يُنطق.

كأنه شيء يحلق في الهواء، أو يعبرُ مع الوقت، معلَّقًا على سور المدرسة، في وسائدنا أو ألعابنا التي مضى عليها الدهر بوضعها في القبو ليغطيها الغبار بعد أن شبعنا منها. لم أكن على علمٍ بذلك حتى أخبرني به

باب أنطون، لا أعلم ماهيته ولكن أشعر به، في ذلك الوقت أدركت أني أخاف أنطون وبشدة.

كنا نعيش في بلدة تدعى تيرينغ، حيث تعد نقطة عسكرية، وبالطبع لا يعد ذلك من باب التباهي، كثيرًا ما يذكّروننا بهذه الحقيقة، لم يسبق لأحد أن قالها، إضافة إلى أنها بقيت في دواخلنا بصعوبة.

كانت البلدة تحتضن منازل كبيرة حمراء اللون، أنيقة ذات قراميد صفراء، وتحيط بها الحدائق مع أرصفة رمادية تميل إلى اللون البني، ومن ثم تأتي بعد تلك المنازل بنايات الذين لم نلعب معهم قط. كان هناك أيضًا بعض من الأكواخ الخشبية القديمة، والمزارع التي لم تعد صالحة للزراعة، ولكن عندما تطورت البلدة تحتّم علينا بناء المنازل المطلية بالمادة المبيّضة للطبقة العليا.

تقع مدرسة تيرينغ في زاوية تطل على شارعين، حيث كنا نعيش هناك باستثناء إليز التي كانت تعيش في تيرينغفيج، لذلك كانت إليز تقطع طريقًا طويلاً من أجل الذهاب معنا إلى المدرسة حتى غادر أنطون. عاش أنطون مع والده وبقية الكوميون في بيت ريفي قديم، يقع في جادة تيرينغفيج 25. ووفقًا لما ذكره أهالينا عنه، كان والده والكوميون من هيبيز الستينيات، ومع أننا لا نعرف معناها، كنا نتناقل هذه المعلومة.

كانت هناك في الفناء الأمامي من الطريق شجرة خوخ كبيرة وطويلة وملتوية، تستند إلى سياج بشكل جميل مع ثمار الخوخ الحمراء المغرية، كنا نحاول التسلق للحصول عليها، ولكن لم يستطع أحد الوصول إليها رغم المحاولات؛ لذلك فقدنا الأمل وتوقفنا، ولكن عندما غادر أنطون المدرسة استطاع تسلقها والجلوس عليها، ومن ثم بدأ يصرخ ويقذفنا بالخوخ الذي لم ينضج بعد، حيث كان بعض منها يصطدم بالمنازل التي حولنا. لم نكن هدف أنطون؛ لأنه لم يكن هناك شيء يستحق مثلما قال، بل لأنه وجد الفرصة، فقد قال ذات يوم:

«إنها مضيعة للوقت! كل شيء بدأ لينتهي، فاللحظة التي تولد فيها ما هي إلا بداية للموت. هكذا هي الحياة!»

وصرخ في اليوم التالي قائلاً:

«عُمر الأرض أربعة مليارات وستمئة مليون سنة، وأنتم لا تستطيعون أن تعيشوا أكثر من مئة سنة! فلماذا كل هذا العناء؟ كل شيء عبارة عن متنكّر ضخم، وهذا ما يجعلكم تعتقدون أنكم الأفضلون».

لم يسبق لأحد أن ذكر أن أنطون كان الأذكى بيننا، ولكن أدركنا ذلك لاحقًا. نعم لقد كان كذلك حتى لو لم نعترف به لأهالينا، أو لمعلمينا، أو فيما بيننا، أو لأنفسنا؛ لأننا لم نكن نريد أن نعيش في العالم الذي يتحدث عنه أنطون. كنا حينها على وشك أن نبلغ ونصبح كما أردنا أن نكون،

على حين يحاول الباب المفتوح على مصراعيه استدراجنا، ولكن هذا مستحيل!

هذا هو السبب وراء ما وصلنا إليه، فربما كلمة «نحن» تعد مبالغة؛ لأن أنطون هو من جعلنا نكبر في الحقيقة.

ذا صباح أصيبت صوفي باثنين من الخوخ، وكانت حينها غاضبة من أنطون لجلوسه على الشجرة وعرقلتنا، فقالت:

«هل يشعرك جلوسك هناك والتحديق كالأبله بالتحسن؟ هل هذا كل ما ستفعله؟!»

أجاب قائلاً:

«أنا لست أبلهَ، فقط أتأمل السماء للاعتياد على عدم القيام بشيء».

«يا لك من أحمق!»

فألقت صوفي عصا على أنطون، لكن لم تصبه؛ لأنها سقطت من الجهة الأخرى. حينها ضحك أنطون بصوتٍ عالٍ، حتى سمعه الجميع، وبعدها صرخ قائلاً:

«إن كان هناك ما يستحق أن ننزعج من أجله، فيجب أن يكون هناك ما يسعدنا، وإن كان هناك ما يجعلنا كذلك فيجب أن يكون هناك شيء ذو أهمية، ولكن لا يوجد شيء من هذا القبيل! ستكونون موتى ومنسيين خلال سنوات قليلة، سوف يحتلُّكم العدم، فيجب عليكم اعتياد ذلك».

في ذلك الوقت أدركنا أنه يجب علينا أن نُنزل أنطون من على الشجرة.

مكتبة Telegram @t_pdf

الفصل الثالث

«لشجرة الخوخ العديد من الأغصان
أغصان لا نهاية لها
بل جميع الأشجار كانت كذلك، الكثير من الأغصان غير المنتهية»

كانت مدرسة تيرينغ عبارة عن مبنى رمادي اللون، كئيب وكبير، يتكون من طابقين، مربع الشكل كالخرسانة، ولكن لم يكن لدينا الوقت للتفكير في ذلك، بل فيما قاله أنطون. في الحقيقة بعد ثمانية أيام من العام الدراسي الجديد، وتحديدًا في صباح الثلاثاء، كانت كآبة المدرسة قد أدهشتنا كخوخ أنطون.

دخلت مع جون يوهان وصوفي من خلال البوابة متجهين إلى فناء المدرسة، حيث لحقت بنا أورسولا ماري وجيردا، وفجأة التزمنا الصمت عند رؤيتنا لمبنى المدرسة! لا أستطيع شرح ما حدث، ولكن رأينا ما كان يحاول أنطون إخبارنا بشأنه، وكأن اللاشيء الذي ظل يصرخ به على شجرة الخوخ قادنا إلى هناك أولاً.

كانت المدرسة رمادية جدًّا، مهجورة وشاحبة حتى إنني لم أستطع التنفس، وكأن المدرسة كانت الحياة بذاتها، ولكن ليس كما يجب أن تبدو. حينها شعرت برغبة قوية في الذهاب إلى تيرينغفيج 25 وتسلُّق

شجرة أنطون، شجرة الخوخ، والتحديق في السماء حتى أُصبح جزءًا من العالم الخارجي، اللاشيء، ولا أفكر على الإطلاق. ولكن كان من المفترض أن أصبح شخصًا ما، لذلك بقيت حيث كنتُ، أنظر إلى الطريق الآخر، وأحفر الشجرة بأظفاري حتى وضعت بصمتي. ذلك الباب الذي ظل يُفتح ويغلق من تلقاء نفسه، لم أكن الوحيدة التي سمعت نداء العالم الخارجي من خلاله.

فقد همس يوهان كي لا يسمعه طلاب الصف السابع المستجدين قائلاً:

«يجب أن نفعل شيئًا!»

كان يوهان يجيد العزف على القيثارة إضافة إلى الغناء، فقد كان يغني أغاني فرقة بيتلز بإتقان، حتى إنه يصعب عليك التفريق بينها وبين الحقيقي منها. في ذلك الوقت همست أورسولا ماري التي أظن أنها تحب يوهان قائلة:

«إنه على حق!»

ضحكت جيردا بصوت عالٍ وهي تعود إلى الخلف، وغادرت في الوقت نفسه أورسولا ماري، فقلت وأنا أسرع بخطواتي:

«ولكن بشأن ماذا؟»

حينها اقترب طلاب من الصف الآخر اقترابًا محرجًا، ومعهم أولاد متنمرون ممن يلقون البازلاء المجففة على الفتيات في أقرب فرصة. في

ذلك الوقت شعرت بأن فرصتي اقتربت، في حصة الرياضيات، كتب يوهان ملاحظة للجميع حتى نتقابل في الملعب بعد المدرسة. طبعًا باستثناء هنريك؛ لأنه ابن مدرس الأحياء، ونحن لا نريد أن نقع في مشكلة. في البداية كان كل اثنين منا يتحدثان في موضوع مختلف، إلى أن وقف يوهان ليبدأ وينهي خطبته بجدية لفتت انتباهنا قائلاً:

«لا يمكن لذلك أن يستمر!»

ذكر بإيجاز ما يعرفه الجميع، وهو أنه لا يمكن لنا أن نستمر وكأن كل شيء يستحق دون إثبات، على حين يجلس أنطون على شجرة الخوخ قائلاً: إنه لا شيء يستحق. كنا آنذاك قد انتقلنا إلى الصف السابع، مستجدين وملمين بأمور الحياة، ونعيش في عالم نعلم أنه ما هو إلا مظهر، وليس كما يجب، وأهم من ذلك أنه يعني شيئًا ما في الحقيقة تحت أي ظرف كان، وإن كان لا يزال هذا الشيء مبهمًا بالنسبة إلينا، وبالطبع لا جدوى من الجلوس على شجرة الخوخ وقذف ثمارها على المارة، فإذا كان أنطون قد اعتقد أنه جعلنا نبصر الحقيقة بطريقة مختلفة، فحتمًا كان ذلك يعني شيئًا ما. قالت روزا الجميلة:

«حتمًا سينزل من على الشجرة حينما يحُل الشتاء، ولكن لم يبقَ شيء من ثمار الخوخ».

وذلك لم يساعد لسبب معين، وهو أن الشمس ما زالت حارقة، وكان حلول الشتاء سيأخذ وقتًا طويلاً، إضافة إلى سبب آخر، وهو أنه لا يوجد سبب يجعلنا نحدد موقف أنطون، هل سيبقى جالسًا على شجرة الخوخ في الشتاء أم لا، حتى لو لم يعد هناك ثمار خوخ، إضافة إلى أن كل ما فعله هو ارتداء الملابس الثقيلة للتدفئة.

«ستذهبون إذًا لضربه».

قلتها لأحد الصبية؛ لأننا نحن الفتيات لا نقدر إلا على الخدش، إضافة إلى أن للصبية القدرة على التحمل. نظر بعضهم إلى بعض، حيث رأوا أنها ليست فكرة جيدة؛ لأن أنطون كان قويّ البنية ذا أنف مصاب بالكلَف، كان قد كُسر حين كان في الصف الخامس، عندما كان يتعارك هو ومجموعة من الصبية أسفل البلدة، وربح العراك مع أن أنفه كان قد كُسر، وقد أُرسل صبي من الصف التاسع إلى المشفى إثر ارتجاج في المخ.

«العراك لا يجدي نفعًا».

قالها يوهان، ووافقه بعض الصبية، فانتهى حينها النقاش بعد أن فقدنا بعضًا من الاحترام! قال كارل حيث كان والده يشغل منصبًا كبيرًا في البَعثة الداخلية، ووالدته كذلك:

«يجب علينا أن نشكر الرب».

«اخرسي!»

قالها أوتو وهو يقرص كارل كي يصمت، ولكن لا جدوى من ذلك، فصرخ بأعلى صوته، حتى جعلنا نحاول صرفه بطريقة ما كي لا ينتبه الناطور. فاقترحت إنغريد الصغيرة التي لطالما نسينا وجودها بسبب قِصر قامتها، بعكس اليوم، قائلة:

«يمكننا أن نشكوه».

«لمن؟»

«للسيد إسكيلدسن».

لاحظت إنغريد الصغيرة دهشتنا؛ فقد كان السيد إسكيلدسن رائد صفنا، ويرتدي معطفًا يقيه المطر مع ساعة ذهبية، إضافة إلى أنه لم يسبق له حل مشكلة ما؛ لأنه لا يهتم على الإطلاق.

«إذًا لمدير المدرسة».

قالتها إنغريد الصغيرة، ثم ذهبت، فهَمْهَمَ أوتو قائلاً:

«المدير!»

وكان على وشك أن يَلْكُمَ إنغريد الصغيرة، ولكن منعه يوهان بالوقوف بينهما، فقال:

«لا يمكننا أن نشكو إلى إسكيلدسن، أو مدير المدرسة، أو إلى أي شخص آخر؛ لأننا إذا شكونا أنطون فإنه يجب علينا أن نعطي سببًا لشكوانا، حينها سنُضطر إلى ذكر ما يقوله أنطون، ونحن لا نستطيع ذلك؛

لأن الكبار لا يريدون أن يسمعوا منا أن لا شيء يهم في الوقت الذي نمثل فيه العكس».

ابتعد يوهان عنهما، وفي الوقت نفسه اعتقدنا أن جميع الخبراء والمعلمين وعلماء النفس سيأتون لمراقبتنا، ومن ثم استجوابنا، حتى نتظاهر أخيرًا بأن كل شيء يبدو مهمًّا. في ذلك الوقت كان يوهان على حق بشأن ذلك؛ لأنه كان مضيعة للوقت. آنذاك التزم الجميع الصمت، وحدَّقتُ إلى الشمس، وبعدها إلى مرمى الملعب الأبيض الذي لا شباك له، حيث خلفي في ملعب الكرة الحديدية مفارش أسرّة ومضمار سباق، إضافة إلى النسيم العليل الذي يتخلل سياج الملعب المصنوعِ من شجر الزان.

ولوهلة شعرنا أنه درس رياضي مثل أي يوم، حتى كدت أنسى لماذا يجب علينا أن نُنزل أنطون من على شجرة الخوخِ. اعتقدت أن ما يستطيع فعله هو الجلوس في أعلى الشجرة فقط حتى الممات، ولكن لم أقل شيئًا حينها، فقال أوتو:

«لِنقذفْه بالحجارة!».

وبدأ النقاش الطويل حول كيفية حمل الحجارة ومدى حجمها، ومن سيقذفها أيضًا، ولم تكن فكرة سيئة في الحقيقة بل جيدة، والأفضل على الإطلاق! فقد كان ذلك الشيء الوحيد الذي نملكه.

الفصل الرابع

حجر واحد، اثنان، أكثر!

كان قد ركب جميعهم قاطرة كارل التي اعتاد أن يستخدمها لتوزيع الصحف المحلية ظهيرة كل يوم ثلاثاء، إضافة إلى توزيع المجلات الإخبارية كل يوم أربعاء في بداية كل شهر. فجمعنا آنذاك الكثير من الحجارة الكبيرة، فضلاً على المقطورة التي تشبه الحصان الميت بثقلها. وبينما كنا نهُمّ بقذفها قال يوهان:

«كل واحد منا يقذف حجرين على الأقل».

فبدأ أوتو بعَدّنا ليتأكد له أن الجميع أخذ مكانه، حتى إن هنريك المدعو بالمتملق استجمع قواه للرمي مع أنها لم تقترب حتى من الهدف، بعكس مايكن وصوفي؛ فقد كانتا أفضل منه، فصرخ أنطون وهو يراقب أورسولا ماري وهي تقذف الحجر برفق، ويرى الجميع قد وقفوا بجانب السياج:

«إذًا لا شيء يخيفكم؟»

«أنت هناك فقط لأن والدك ما زال عالقًا في الستينيات!»

أجاب هانز الضخم، ومن ثم قذف بالحجر الشجرة بقوة أدت إلى سقوط ثمار الخوخ في الأنحاء، حينها صاح الجميع، وأنا أيضًا، مع أنه كان محقًّا؛ فقد كان والد أنطون والكوميون يزرعون نباتات عضوية،

ويمارسون أديانًا غريبة، ومتقبلين هذا العالم الروحي، إضافة إلى تصرفاتهم وتصرفات التابعين لهم. ولكن لم يكن سببًا حتى لا يكون صحيحًا، بل لأن والده كان حليق الرأس، ويعمل في شركة للحواسيب. لم يكن هناك أي شيء لفعله، سواء بشأن الستينيات أو أنطون، كان فقط يصرخ وهو ينفض عن ذراعيه قشور الخوخ قائلاً:

«لسنا عالقين في شيء! أنا أجلس هنا لأتأقلم مع اللاشيء، وأعتقد أنه من الأفضل الجلوس هكذا بدلاً من الجلوس لانتظار شيء هو وهم في الحقيقة».

لم نجبه، كان ذلك في الصباح الباكر، حيث كانت الشمس تأتي من الشرق إلى عيني أنطون، فكان يجب عليه أن يقي عينيه إذا أراد رؤيتنا. وكنا حينها نقف وظهورنا في اتجاه الشمس حول المقطورة في الجانب الآخر من الطريق، حيث خوخ أنطون بعيد عنا.

ثم أتى دور ريتشارد، وحين ألقى حجرًا واحدًا على جذع شجرة الخوخ تصدعت، أما الحجر الآخر فمزق أوراق الشجرة وهو يمر بجانب أذن أنطون اليسرى. ثم أتى دوري، لم أكن جيدة في الرمي على الإطلاق، ولكن كنت غاضبة جدًّا وعازمة. كانت رميتي الأولى قد أصابت السياج بجانب أورسولا ماري، أما الحجر الثاني فقد وصل إلى فرع الشجرة التي كان يجلس عليها أنطون، فصاح قائلاً لي:

«أنتِ تعانين يا أغنس مشكلة تصديق أن الأشياء مهمة».

حينها أخذتُ حجرًا ثالثًا حتى أصيبه بها؛ لأننا سمعنا صراخًا، وفي الوقت نفسه كان الجو ساكنًا في أعلى الشجرة، فبدأ أوتو بالقذف، ولكن هذه المرة كانت بعيدة وعالية جدًّا، فصرخ أنطون مرة أخرى قائلاً:

«إن بقيتم أحياء إلى عمر الثمانين، فستكون ثلاثون سنة من أعماركم قد ذهبت في النوم، وتسعون سنة في الذهاب إلى المدرسة وحل الواجبات المدرسية، وأربعون سنة في العمل، إضافة إلى مضي ست سنوات في اللعب وأنتم أطفال، وبعدها ستُمضون اثنتي عشرة سنة في تنظيف المنزل والطبخ والاهتمام بأطفالكم، وهذا يعني أن لديكم تسع سنوات للعيش».

ثم ألقى بعدها أنطون ثمرة خوخ في الهواء، اتخذت شكل القوس قبل أن تقع في الجدول:

«وتريدون أن تُمضوا تلك السنوات التسع في التظاهر بأنكم توصلتم إلى شيء ما في ظل هذه الحفلة التنكرية التي لا تعني شيئًا، بدلاً من أن تستمتعوا بهذه السنين».

ثم قطف ثمرة خوخ أخرى من الغصن، واتكأ على مفرق غصنين من الشجرة، ليأخذ منها قضمة كبيرة ويضحك. كان النصر حينها باديًا عليه، فصرخ أوتو:

«إنها ليست حفلة تنكرية!»

وتبعه هانز الضخم قائلاً مع حجر آخر:

«إنها ليست حفلة تنكرية!»

فضحك أنطون قائلاً وهو يمسح عصير الخوخ عن ذقنه:

«إذًا كيف جعل الجميع كل شيء يبدو مهمًّا على حين هو ليس كذلك؟ كل ما يفعلونه هو الانشغال بالتظاهر بأن كل شيء مهم. إلى أي مدى كان تعلّم قول « شكرًا لك»، و«من فضلك» مهمًّا؟ وما الذي ستفعلونه حينما لا يكون هناك شيء لفعله قريبًا؟ الجميع يعلم ذلك، فلِمَ لا يكون من الأفضل الجلوس هنا لأكل ثمار الخوخ، ومشاهدة العالم وهو يختفي حتى يكون جزءًا من اللاشيء؟ إذا كان لا شيء يهم، فإنه من الأفضل عدم القيام بشيء، وخاصة إذا كان ذلك هو قذف الأحجار؛ لأنه ليس لديكم الشجاعة لتسلق الشجرة».

في ذلك الوقت قذف كارل حجرين بسرعة، فتهافتت الأحجار على شجرة الخوخ من كل حدب وصوب، حيث نسي الجميع أدوارهم، وأخذوا يقذفون الأحجار في آن واحد، وسرعان ما سقط أنطون، وتوقف عن الصراخ، وسقط بشدة على الأرض خلف السياج، حيث كان ذلك متوقعًا؛ لأننا قمنا بقذف الأحجار في آن واحد.

كان يجب على كارل آنذاك أن يذهب إلى المنزل بقاطرته إن أراد الذهاب إلى المدرسة قبل أن يدق الجرس. كانت شجرة الخوخ في صباح

اليوم التالي هادئة عندما مررنا بجانبها متجهين إلى المدرسة، كان أوتو هو أول من عبر الطريق، وتبعه الضخم هانز الذي قفز بشدة، واقتلع مقعدين، وأخذ حفنة من أوراق الشجر، فتبعناهم حين لم يصدر أي صوت، نعم لقد انتصرنا! ويا لذة النصر!

وبعد يومين عاد أنطون إلى الشجرة بضمادة حول رأسه، وصرخ قائلاً:

«حتى لو تعلمتم شيئًا تظنون أنكم تجيدون فعله، هناك دائمًا شخص أفضل منكم».

فأجبت:

«اصمت! سأكون مهمة ومشهورة أيضًا».

«لا يوجد شك أغنيس، ستكونين مصممة أزياء تتجول بالكعب العالي في الأنحاء، وكأنكِ شخصية مهمة حتى يُخيل ذلك للآخرين ما داموا يرتدون من تصاميمك، ولكن ستكتشفين بعد ذلك أنكِ لستِ سوى مهرِّج في سيرك تافه، ووسط جمهور يحاول بعضهم إقناع بعض أن من الممتع أن يكون هناك مظهر جديد في كل سنة، ومن ثم ستجدين كل هذه الشهرة وكل هذا العالم ليسا سوى وهم؛ لأنه لا شيء يهم، وسيكون كذلك دائمًا مهما فعلتِ».

قالها بشفقة، فبحثت حينها عن حجر في الأرض، ولكن لم أجد شيئًا، فصرختُ قائلة:

«اخرس!»

«فلماذا لا نعترف من البداية بأنه لا شيء يهم، ونستمتع بذلك؟»

واصل حديثه رغمًا عني، حتى جعلني أشتمه بطريقة سيئة فضحك، أمسكت بيد صديقتي أورسولا ماري بغضب آنذاك، حيث كان لون شعرها أزرق، بل شديد الزرقة، وبست ضفائر كبيرة، ولو لم تمانع أمي لكان شعري أزرق أيضًا، وبالضفائر الست التي من الممكن ألا تناسب شعري الناعم، ولكن كان يعني شيئًا على الأقل.

وبعد مرور بضعة أيام، استدعانا يوهان مرة أخرى لنجتمع في الملعب، لم يكن هناك أي اقتراحات، فقط الشعور بهذا الهم الثقيل، لم نعد نستمع لأوتو؛ إذ كان الأقوى في الصف على الأقل حتى ترك أنطون المدرسة كلنا سوف نلومه. وبينما كنا نهمّ بالمغادرة لأننا لم نتوصل إلى حل، قالت صوفي:

«يجب علينا أن نثبت لأنطون أن كل شيء مهم».

حينها أدركنا ما يجب علينا القيام به، فاجتمعنا في اليوم التالي.

مكتبة Telegram @t_pdf

الفصل الخامس

عاشت صوفي في مرحلة حيث أصبحت تيرينغ ريفية بدلاً من مدينة، في بيت ذي لون أصفر وفِناء كبير مع والديها، حيث يحتوي في نهايته على معمل مهجور للنشارة، ولأنه لم يكن يُستخدم على الإطلاق، تحدث نُخبة من رجال البلدة الكبار سنين عن تحويله إلى مكان للتسلية، ولكن لم يهتم أحد بذلك المعمل.

ومع أنه أصبح في حالة سيئة أكثر من نوافذ محطمة وثقوب في السقف، كان ما نحن بحاجة إليه بالفعل هو استراحة الغداء، الجميع أعطى يوهان بعضًا من المال من كرونة إلى خمس كرونات، وهو بدوره ركض إلى متجر خردوات، وعاد ومعه قفل من النوع الجيد.

دار نقاش بيننا حول الشفرة ماذا يجب أن تكون، حيث إن الجميع فكروا بتواريخ ميلادهم، وكانت منها أرقام مميزة في الحقيقة، ولكن في نهاية الأمر اتفقنا على اليوم الخامس من فبراير، وهو تاريخ ميلاد أنطون، وأخذنا نردد: « خمسة، صفر، اثنان» إلى أن نسينا واجباتنا المنزلية والانتباه للدرس، حتى إنه بدأ الشك يساور السيد إسكيلدسن، وأخذ يسأل: هل صارت عقولكم كعقول العصافير، أم فقدتم الذاكرة؟

لم نجبه لأنه أصبح لدينا معمل وقفل، والشفرة «خمسة، صفر، اثنان»، ونعرف ما يجب علينا فعله. غير أنه كان أصعب مما نظن حين أدركنا أن أنطون كان على حق إلى حد ما في أن لا شيء يهم. لم يكن من السهل أن نعمل بذلك، ولكن صوفي أنقذت الموقف قائلة:

«إنها فقط فكرة لم تُنفّذ».

حينها وجدنا الحيلة التي ستساعدنا، تذكرت إليز أنه عندما كانت في السادسة من العمر، عض كلب رأس دميتها وقطعه، فبكت، بعدها أحضرت دميتها المخبأة ورأسها المقطوع من أحد صناديقها الموجودة في القبو إلى المعمل، في حين أحضر كارل كتاب تراتيل مفقودًا منه الغلاف الأمامي والخلفي، إضافة إلى عدد من التراتيل، ولكن كانت الصفحات من 27 إلى 389 خالية من العيوب. أما أورسولا ماري فأحضرت مشطًا ورديًّا مصنوعًا من العاج، ويفتقد سنّين منه، وأتى يوهان بشريط مقطوع لفرقة البيتلز، ولكن لم يستطع أن يرميه.

أما الآخرون فذهبوا يطرقون أبواب المنازل للبحث لديهم عن شيء له معنى. ومع أن هناك بابين أُغلقا في وجوهنا، فقد حصلنا على أشياء عجيبة، كان كبار السن هم الأفضلين؛ فقد أعطونا تلك الكلاب الصينية التي تهز رأسها، وهي تالفة قليلاً، إضافة إلى صور آبائهم وأمهاتهم المتوفَّينَ، وألعاب أبنائهم الذين رحلوا منذ مدة طويلة، وأعطونا أيضًا

الملابس العزيزة التي بَلِيت خيوطها، وزهرة من طاقة عروس عمرها ستة وثلاثون عامًا، ولكن ترددنا نحن الفتيات عندها لأننا شعرنا بأنها شيء مهم، ذلك الحلم الأبيض، طاقة ورد، وقبلة من الرجل الذي أصبح لكِ للأبد.

آنذاك قالت لورا: إن المرأة التي أعطتنا الزهرة طُلقت بعد زواجها بخمس سنين، فلو كانت بحاجة إليه لظلت متزوجة حتى الآن. وما دام العديد من آبائنا طَلّقوا أيضًا، فالحلم الأبيض أيضًا لا يستحق وقتنا للتفكير به؛ لأنه مضيعة للوقت.

كبرت الكومة، وظلت تكبر حتى أصبحت بطول الصغيرة إنغريد في غضون أيام قليلة، مع أن المعنى لم يكتمل بعد؛ لأنه لا يوجد مما جمعناه شيء يهمنا بالفعل، فكيف سنقنع أنطون بما يجب؟ إن مقصدنا هو رؤيته لتلك الكومة، ولكن لا شيء مهم من ذلك. دعانا يوهان مرة أخرى قبيل أن نعترف بأن أشياء معينة تهمنا بالفعل، حتى لو لم تكن كثيرة، أو ليست بتلك الأهمية القصوى، ومع ذلك شيء خير من لا شيء.

كان دينيس الأول، حيث أحضر مجموعته الكاملة من كتب التنانين والأبراج المحصنة التي قرأها مرات عديدة حتى حفظها عن ظهر قلب، وسرعان ما اكتشف أوتو أن هناك أربعة أجزاء مفقودة، وقال: إن دينيس كان سيعطيه إياها أيضًا، فغضب دينيس، وقال لأوتو: إنه لا شأن له

بذلك، حينها أدركنا أنها ليست جزءًا من الخطة، وأنّا كنا لئامًا، وكلما زاد صراخ دينيس أدركنا بوضوح أن الكتب تعني له الكثير؛ أوَلَمْ نتفق على أن نضع أكثر الأشياء المفضلة لدينا على الكومة لإقناع أنطون بالنزول من على الشجرة؟

حين قدّم دينيس آخر أربعة أجزاء من كتب التنانين والأبراج المحصنة، شعرنا بأن المعنى بدأ يختفي؛ فقد كان يعلم مدى ولع سيباستيان بعصاه الخاصة بالصيد، وسيباستيان يعلم أن الكرة السوداء تعني شيئًا لريتشارد، وريتشارد لاحظ أن لورا كانت دائمًا ترتدي الأقراط الإفريقية التي على شكل ببغاء، لذلك كان يجب علينا أن نتوقف عند هذا الحد، مع أنه كان قد فات الأوان، إضافة إلى أني فعلت ما بوسعي، فقلت:

«لا جدوى من ذلك».

«ها!»

سخرت جيردا وهي تشير إلى كعبي الأخضر، الذي أمضيت الصيف كله في محاولة إقناع أمي بشرائه لي، وقد حصلت عليه بنصف السعر في وقت التخفيضات. لقد كنت أعلم بمجيئه، وهذا ما دفعني على الأرجح أن أحاول إيقاف ما يحدث، فهي لم تكن سوى مسألة وقت حتى ينتبه أحد منهم إلى الكعب.

في الحقيقة كان ضحك جيردا، الريفية الصغيرة، هو ما زاد الوضع سوءًا. في البداية حاولت أن أتغاضى، إضافة إلى أنني لم ألحظ ما تشير إليه، ولكن لورا لم تدعني وشأني، فقالت:

«الكعب يا أغنيس».

أدركت آنذاك أنه لا مفر، وحين انحنيت لأخلعه، وقفت مرة أخرى ظنًّا مني أني ذكية، فقلت:

«لا أستطيع! فأمي ستسألني أين هو، وحينها سيعلم الكبار بالأمر».

«هل تعتقدين أنكِ أفضل من الجميع؟ هل تظنين أن أبي لن يلحظ ما فعلته بعصاي التي أستعملها في الصيد؟»

قالها سيباستيان وبكى، ثم أمسك آنذاك وهو يتّحدث بخطّاف عصا الصيد المتدلي من الكومة.

«ما الذي فعلته بكتبي؟»

«وأنا أيضًا أين كُرتي؟»

«وأنا! أين أقراطي؟»

«فقط حتى نهاية الصيف!»

كل ما طلبت هو مهلة، وأنا أعلم أني خسرت الكعب، ولكن لم يكن هناك من يرحم، حتى سمحوا لي باستعارة زوجين من أحذية صوفي

الرياضية؛ كي لا أمشي في المنزل حافية القدمين، مع أن الحذاء كانت ضيقة جدًّا حتى على إصبعي الكبيرة.

وفي طريق العودة إلى المنزل وأنا أبكي، كانت هناك حفرة كبيرة على غير المعتاد، وقفت لأجلس عندها تحت ظل دراجتي، حيث لا يستطيع أحد أن يراني، سواء من المنزل، أو ممن في الطريق. حينها خلعت حذاء صوفي، وألقيت بها على زاوية الطريق؛ فصورة كعبي الأخضر على أعلى الكومة لا تغادر مخيلتي. نظرت آنذاك إلى قدميّ الحافيتين، وقررت أن جيردا هي التي ستدفع الثمن!

الفصل السادس

استغرقت ثلاثة أيام حتى أجد نقطة ضعف جيردا، وخلال تلك المدة كنت لطيفة معها. في الحقيقة لا تعجبني؛ لأنها تبصق وهي تتكلم حتى عندما تضحك، وطوال الوقت في الواقع، إلى جانب أنها لا تترك أفضل صديقة لي وهي أورسولا ماري، ليس لأنها ذات شعر أزرق وست ضفائر، بل لأنها ترتدي اللون الأسود أيضًا.

فإذا لم تشترِ لي أمي تلك الملابس المبهرجة، كنت أرتدي الأسود من البناطيل والقمصان السوداء بشعارات مضحكة باللغة الإنجليزية، وكنت أرتدي أيضًا القمصان الداخلية السوداء حيث كان الجو لا يزال دافئًا لأرتديها؛ لأنه بداية سبتمبر، ولكن كان تركيزي في جيردا آنذاك.

تبادلت أنا وجيردا ربطة شعر، وهمست لها عن الصِّبية، وكشفت لها عن سرٍّ، ألا وهو أني أميل لهانز الضخم، مع العلم أنه لم يكن صحيحًا، ومع أنه يجب ألا أكذب، ولكن كما يسميه أخي «القوة القاهرة». لم أكن أعلم ما معنى ذلك تمامًا، ولكن شعرت بأنه الوقت الصحيح للكذب.

لم تخضع جيردا أول يومين كثيرًا، حيث لم تُبدِ اهتمامها بأي شيء، أو ربما شعرت بما أريد، كانت هناك بعض الدمى الورقية التي أعطتها جدتها إياها، لم تلعب بها منذ أن كنا في الصف الخامس. وذات مرة أرتني صورة

لتوم كروز، حيث كانت مغرمة به إلى درجة أنها تقبِّل الصورة كل ليلة قبل أن تنام، إضافة إلى مجموعة روايات رومانسية تتحدث عن حب بين الأطباء والممرضات، وكيف أنهم يعيشون بهناء إلى الأبد. أعترف بأني لا أمانع استعارتها بين الحين والآخر، مع أنها من المرجح أن تبكي قليلاً، ولكن ليست سوى دموع لمضيعة الوقت، لأنه في الحقيقة لا يهم.

وفي اليوم الثالث وجدتها، كنا آنذاك نجلس في غرفة الشاي، ونستمع لشريط والدها، حينها وجدت نقطة ضعفها. كنا قبل ذلك بيومين قد قضينا الوقت في غرفتها التي بمنزل والدتها، وكانت ممتلئة بأشياء الفتيات اللامعة والمبهرجة، لكن في ذلك الوقت كنا في غرفتها التي بمنزل والدها، التي اعتادت الجلوس بها كل أسبوع. كانت الغرفتان تتشابهان من حيث منضدة شرائط، وكرسي بلاستيكي قابل للنفخ، وملصقات جدران، الشيء المختلف في غرفتها التي بمنزل والدها هو أنه كان في زاوية الغرفة قفص وهامستر صغير بداخله، كان اسمه أوسكار الصغير.

وفي اليوم التالي كان على جيردا أن تسلم الهامستر لكومة المعنى. بكت حينها جيردا، وقالت: إنها ذاهبة لتشي بي وبهانز الضخم، فضحكت عاليًا، وأخبرتها أني كذبت عليها تحت ما يسمى « القوة القاهرة». وهذا ما جعل جيردا تبكي أكثر مدة ساعتين، وتقول: إني أقسى شخص عرفتْه على الإطلاق، كان الوضع لا عزاء له، اعتقدت آنذاك أنها

محققة، ولكن عندما رأيت كعبي الأخضر على قمة الكومة، لم أغير رأيي، وعلى الفور ذهبت أنا وأورسولا ماري إلى منزلها لإحضار أوسكار الصغير؛ لأننا لم نرد منحها فرصة للمفر.

كان والدها يعيش في أحد المنازل الجديدة، حيث كانت بنيّة إلى رمادية اللون، ومبنية من القرميد، وكانت الطبقة الخارجية كذلك أسمنتية، إضافة إلى الغرف المزودة بالنوافذ الكبيرة السهلة الفتح. أما الصف الثاني من المنازل التي تقع في الطرف المقابل من تيرينغ، فكانت ممتلئة بالمروج الخضراء والأغنام البيضاء. في الحقيقة كون المنزل في الطرف المقابل من تيرينغ يجعل المشي مرهقًا، ولكن كان الشيء الأساسي هو النوافذ الكبيرة.

كان والد جيردا في المنزل، وهذا يعني أنه يجب علينا تهريب أوسكار الصغير، فذهبت أورسولا ماري وجيردا إلى غرفتها في حين كنت في الخارج؛ لأُمسك به من خلال النافذة. حين أمسكت به وضعته داخل قفص قديم متّسِخ كنا قد صنعناه لهدف ما. كانت جيردا آنذاك تجهش بالبكاء في زاوية الغرفة، وترفض تقديم المساعدة، ولأنني لم أعد أحتمل نُواحها قلت:

«اخرسي يا جيردا، وإلا فسيكون هناك هامستر ميت على قمة الكومة!»

ومع ذلك لم تتوقف جيردا عن البكاء، ولكن هدأت قليلاً حتى صارت الأمور مقبولة إلى حد ما، إضافة إلى مغادرتها للمنزل دون ملاحظة والدها. كان أوسكار الصغير لطيفًا ومنقطًا باللون البني والأبيض مع شاربين يرتعشان.

في الحقيقة كنت سعيدة لأنه سيبقى معنا، ومن ناحية أخرى كان القفص ثقيلاً وغير عملي، فضلاً على الطريق الطويل إلى المعمل. لذلك كان يجب علينا استعارة قاطرة كارل، ولكن لم نستطع، فصرنا نحمل القفص بالتناوب ومعنا جيردا؛ لأنه لم يكن هناك سبب لإعفائها من معاناة ألم الكتفين مثلي ومثل أورسولا ماري. أخذ من وقتنا دهرًا حتى وصلنا إلى الملعب والمعمل، وكان أوسكار الصغير يصرخ طوال الطريق كما لو أننا ذاهبون به لقتله.

وأخيرًا عندما وصلنا وضعنا القفص على الأرض، وتسلط نصف ضوء قادم من الباب، وجعلنا جيردا تضع بعضًا من نشارة الخشب القديمة، بعد أن قدمت له حصة إضافية من الطعام والماء، صعدت في السلم لأضع القفص على أعلى الكومة، وعندما نزلت للأسفل أخذت أتأمل القفص الذي كان كما النجمة العالية المعقوفة. وبعدها أدركت مدى هدوء المعمل، كان هادئًا جدًّا، بل الأهدأ على الإطلاق!

أدركت في عمق ذلك الهدوء مدى كبر وفراغ المعمل وتشققاته، إضافة إلى عدد الثقوب الموجودة في الأرضية الخرسانية التي بصعوبة تلحظها من شدة الأوساخ ونشارة الخشب، كل هذا مع بيوت العناكب السميكة المعلقة على الدعامات، وعدد الثقوب الموجودة في السقف، حيث كان هناك عدد قليل من النوافذ السليمة.

حينها قمت بتفقد أرجاء المعمل من أوله إلى آخره، من الأعلى إلى الأسفل، ومن ثم التفتُّ إلى أصدقائي الذين ما زالوا يحدقون في القفص بصمت؛ فقد أضاف الصغير أوسكار معنى للكومة لم يوجد في كعبي الأخضر، أو عصا صيد سيباستيان، أو كرة ريتشارد. في الواقع كنت سعيدة بأني صاحبة هذه الفكرة، مع قلة حماسة الآخرين، وهي التي أحزنتني قليلاً، ثم أتى أوتو وأنقذني، فقد هتف قائلاً وهو ينظر إليَّ:

«الآن صار هناك معنى!»

«ولن يذهب أنطون إلى أعلى الشجرة مرة أخرى».

أضاف هانز الضخم، ولم يُبدِ أحد أي اعتراض، حينها علمت أنه عليّ أن أغلق فمي، وأخجل من كبريائي. كان الوقت آنذاك متأخرًا من الليل، وعلى جميعنا الذهاب إلى المنزل لتناول العشاء، فألقينا آخر نظرة إعجاب على كومتنا الكبيرة، وبعدها أطفأت صوفي الأضواء، وأغلقت الباب من

خلفنا، ومن ثم وضع يوهان القفل، وكل واحد فينا أسرع إلى منزله، فأتى دور جيردا.

الفصل السابع

لم تكن جيردا ذكية بما فيه الكفاية حتى تطلب من مايكن أن تسلم التلسكوب. جميعنا يعلم أن مايكن أمضت عامين باستثمار مدخراتها في هذا التلسكوب، وفي المقابل كانت جيردا تمضي كل ليلة عندما تكون السماء صافية في مراقبة النجوم، فلطالما قالت: إنها سوف تصبح عالمة فلك، ومع ذلك فقد كان اختيارًا مخيبًا للآمال، وأثبتت مايكن جرأتها حين التفتت إلى فريدريك دون تفكير وقالت:

«علم الدنمارك!»

حينها تراجع فريدريك إلى الخلف، وبدأ يصغر بوجه أحمر، وأومأ رأسه بقوة، كان شعره بني اللون، وكذلك عيناه، ودائمًا ما يرتدي قميصًا أبيض وبنطالاً أزرق اللون متجعدًا بسبب الصبية الآخرين كالمعتاد، وكانت أسرة فريدريك مترابطة، فوالده لم يطلق أمه ولن يطلقها. كان فريدريك يثق بالدنمارك والبيت الملكي، ومُنع من اللعب مع رفيقه حسين.

آه يا دنمارك وعلمنا الذي نفتخر به!

كان قد أُنزل في عام 1219 نتيجة انتصار ملك الدنمارك على العدو في لاتفيا، فاحتفظ به فريدريك، حيث كان فريدريك هو من أنار بصيرتنا

بسرد القصة علينا آملاً أن يساعده ذلك، وبالطبع اهتممنا بالملوك ولاتفيا حين هتفنا قائلين:

«علم الدنمارك يا فريدريك! اجلب علم الدنمارك الخاص بك!»

كنا نغني آنذاك مرارًا وتكرارًا من شدة حماستنا، والذي زاد من حماستنا أكثر هو تعابير وجه فريدريك المرعبة. وفي فناء منزل من طابق واحد، حيث يعيش فريدريك ووالداه، تقع أطول سارية علم في تيرينغ، ومن هذه السارية يلوِح علم الدنمارك من شروق الشمس حتى غروبها كل يوم أحد، وكذلك في المناسبات الخاصة، سواء كان في يوم ميلاد الملكة، أو فريدريك، أو في العطل العادية.

في عائلة فريدريك كان رفع العلم من واجب الرجل، وهو ما يميزه، وعندما احتفل فريدريك بعامه الرابع عشر مؤخرًا، أصبح ذلك واجبه بعد والده، لذلك كان من الواضح على فريدريك أنه لن يتخلى عن العلم، ولكننا أصررنا بلا رحمة، حتى وُضع العلم على الكومة في اليوم التالي. وبينما كنا نغني النشيد الوطني، وقفنا لنرى فريدريك وهو يثبّت الشعار الأبيض والأحمر بعصًا حديديةٍ، كان قد وجدها يوهان خلف المعمل، وهي الآن قد غرزت في منتصف الكومة، وتبدو أكبر مما كانت عليه عندما كانت ترفرف من السارية.

شعرت آنذاك بعدم الارتياح لهذه المغامرة كلها إذا أخذنا التاريخ والشعب بعين الاعتبار، مع أن الآخرين لم يبدوا لي منزعجين، وعلمت في الوقت الذي كنت فيه أفكر في المعنى أن مايكن قد ذهبت إلى المنزل. فقد كانت نظرة واحدة إلى العلم المرفرف عاليًا تعني شيئًا، وشيء واحد يعني الكثير! كان لدى فريدريك خطة شريرة، فكرة لم ولن تخطر على أحد منا، فهو جعلنا نقدّره عندما طالب بمذكرات الآنسة ويليام قائلاً:

«كيف أضع هذه المذكرات يا آنسة ويليام؟»

كانت مذكرات السيدة ويليام مهمة جدًّا، فقد كانت مصنوعة من الجلد الداكن واللب الفرنسي مع أوراق منقوشة بدقة في الداخل، حيث بدت كأنها أوراق ساندويتش، ولكن بشكل عام بدت جميلة! والآن الآنسة ويليام بدت مغتاظة، وكانت على أتم الاستعداد تحت أي ظرف كان. فلوّح بيده إلى حد أننا الفتيات حاولنا لاحقًا تقليده ونحن نضحك، ولكن بلا جدوى، فسُلمت المذكرات لكومة المعنى مع عدم وجود المفتاح ونسيان فريدريك لأن يطالب بها.

حينها سقط من أعيننا بسرعة كما علا شأنه بسرعة، فأعلنت الآنسة ويليام بلهجة حادة، أو بالأحرى بتنازل، أن إضافة مذكراتها إلى الكومة ستصنع كومة جديدة، وتباهت ببضع كلمات فرنسية لا نعلم معناها، ومهما كان المقصود فقد كان توسلها لعفو آنا لي بسبب هذه الكومة

الجديدة لتتخلى عن شهادة الاعتماد الخاصة بها. كانت آنا لي كورية الأصل بجنسية دنماركية، وكل ما تعرفه بشأن والديها هو أنهما دنماركيان بالتبني.

لم تتفوه آنا لي بكلمة على الإطلاق، ولم تتدخل في شيء، وكانت حين يحادثها شخص ما تنظر إلى الأسفل، حتى إنها في ذلك الوقت بيننا لم تقل شيئًا.

احتجّت أورسولا ماري بشأن الشهادة قائلة:

«لا تؤخذ شهادة السيدة ويليام بعين الاعتبار؛ لأنها تعد كشهادة ميلاد، لذلك لا تعد شيئًا قابلاً للمنح».

أجابت الآنسة ويليام برفق:

«حسنًا أنا أعتذر، ولكن مذكراتي تعد سيرة حياتي، لذلك إذا كان عليّ التضحية بها للكومة، فالشهادة ستكون كذلك! ألم يكن مقصدنا هو أن تكون الكومة ذات معنى؟»

«ليس بهذه الطريقة!»

أجابت أورسولا ماري وهي تهز رأسها والهواء يداعب ضفائرها الست، ولكن أصرت الآنسة ويليام بأدب على موقفها، ولم نعرف حينها كيف لشخص ما أن يعترض، لذلك أخذنا نفكر، فأثارت دهشتنا آنا لي حين قالت:

«لا يهم، أو بالأحرى يهمنا كثيرًا، ولكن تلك هي الفكرة، أليس كذلك؟ وإلا فليس للكومة معنى على الإطلاق، ومن ثم سيكون أنطون على حق في أنه ليس هناك معنى لأي شيء».

كانت آنا لي محقة، فأُضيفت الشهادة إلى قمة الكومة، وعندما أُعلن أنه يجب على إنغريد الصغيرة التخلي عن عكازتها الجديدة، لم يعترض أحد لأنها في المقابل ستستخدم إنغريد الصغيرة عكازتها القديمة. كان المعنى يأتي بزخم، وحماستنا لا حدود لها عندما همست إنغريد الصغيرة برباطة جأش بأنه يجب على هنريك الذهاب لجلب الأفعى المخبأة في برطمان ممتلئ بغاز الفورمالديهايد.

مكتبة Telegram @t_pdf

الفصل الثامن

كان ما يستحق النظر في صف الجغرافيا ستة أشياء، وهي: الهيكل العظمي الذي نسميه السيد هانسن، ونصف الرِّجل مع أعضاء قابلة للفصل، وملصق حائط يحتوي على تفاصيل أعضاء الجهاز التناسلي للأنثى، وجمجمة محنطة مهشمة تعود إلى هاملت، وابن عرس محشو، وأخيرًا أفعى بداخل برطمان ممتلئ بغاز الفورمالدهيد.

وكانت الأفعى في الحقيقة مثيرة للاهتمام أكثر من الأشياء الأخرى؛ لهذا السبب اقترحت الصغيرة إنغريد ذلك، ولكن لم يوافق هنريك؛ لأنها كانت في الحقيقة كوبرا، أي كلفت والده الكثير من الوقت والاتفاقات والمفاوضات اللانهائية بهدف تأمين هذه المجموعة المدرسية، إضافة إلى أنها كلما نُظر إليها أثارت الاشمئزاز والقشعريرة. باعتبار أنماط ما قبل التاريخ والحراشف المتشابكة عن قرب، التوى جسم الأفعى بشكل حلزوني لا نهائي في نهاية البرطمان، رفعت الأفعى رأسها بسرعة، وخرج عنقها المسنن كما لو أنها غاضبة، شعرت بأن الأفعى ستطلق سمها من هسهستها وفكها الوردي في أي لحظة، لم يسبق لأحد منا أن لمس البرطمان طوعًا، إلا إذا كان المقابل عشر كرونات.

ولكن أصر هنريك بعناد وغباء على أن الأفعى لا تنتمي إلى كومة المعنى، ولأن كان حسين قد وعد بالمساعدة في وضع البرطمان على رأس هنريك في الإجازة؛ حيث المقابل عشر كرونات من أوتو، هددته بتحطيم البرطمان على رأسه إذا لم يضع الأفعى على الكومة. وكان الجميع قد نفد صبره وإصراره على أن ذلك لا بد أن يحدث الآن على الفور؛ لأننا أردنا أن ننهي هذه المسألة بإسكات أنطون للأبد.

كانت ثمار الخوخ قد نضجت، وما زال أنطون يبصق بذر الخوخ اللزج على الجميع، وهو يصرخ بهرائه كلما مررت عبر تيرينغ 25 كل صباح مع أورسولا ماري:

«كيف هي المواعدة بالنسبة لكنَّ يا فتيات؟ أولاً تقعن في الحب، ومن ثم تأتي المواعدة، وبعدها يذبل هذا الحب وتنفصلن».

صرخت أورسولا ماري قائلة:

«اخرس!»

كانت أورسولا ماري تشعر بالقلق؛ لأننا كنا للتو نتحدث عن يوهان وأهمية المشاعر التي لا نقدر على كبحها أو مقاومتها. في ذلك الوقت ضحك أنطون، وقال:

«وعلى هذه الحال، ما هي إلا مسألة وقت حتى تسأمن من هذا التكرار الذي كان نتيجة قراركن أن تجعلن هذا الشخص هو الأقرب إليكن والوحيد. يا لها من مضيعة للجهد!»

«ألن تصمت؟ اخرس!».

صرخت في أنطون، وركضت مع أنني لم أكن أواعد أحدًا، وليس لدي فكرة عن الشخص الذي سأختاره حاليًّا أو قريبًا؛ لأنه من المستحيل أن أدع أنطون يشوه الحب في نظري حتى قبل أن أعرف ماهيته. ركضت أنا وأورسولا ماري بقية الطريق إلى المدرسة بأسوأ مزاج على الإطلاق! حتى روزا الجميلة لم تستطع أن ترفع من معنوياتنا حين ذكّرتنا بأن أنطون كان قد واعد صوفي لأسبوعين، وحظيا بقبلة، ثم افترقا، وبعدها بدأت صوفي تواعد سيباستيان في حين واعد أنطون لورا. كانت تلك القصة من النوع الذي لا أودّ سماعه مثل ما قاله أنطون تقريبًا.

لا أعلم متى انتهز هنريك الفرصة لسرقة الأفعى من صف الأحياء، أو كيف استطاع تهريبها إلى المعمل دون أن يراه أحد، كل ما أعرفه هو أن دينيس وريتشارد ساعداه على لَيِّ الأفعى بشكل مثير للاشمئزاز، وكأنها على قيد الحياة، ووضعوا البرطمان على قمة الكومة، حتى إن أوسكار الصغير لم يتقبل ذلك؛ فقد كان صراخه وانكماشه في زاوية القفص مثيرَين للشفقة.

بكت جيردا آنذاك، وأخبرتهم أن يغلفوا الأفعى بأي شيء كي لا نراها، ولكن صراخ أوسكار الصغير جعل لوجود الأفعى معنى، حتى إنه لا أحد منا وافق على تغليف البرطمان، وعوضًا عن ذلك أشحنا بوجوهنا ناظرين إلى هنريك عمدًا.

الفصل التاسع

كان هنريك متملقًا حين طلب قفازَي الملاكمة الخاصين بأوتو، وفي الحقيقة كان أوتو مولعًا بهما لكون لونهما أحمر مثل علم الدنمارك. ومن ناحية أخرى قضى أوتو ثمانية أيام في التفكير قبل أن يغير رأيه، لو لم يكن أوتو مذهلاً وخطته أيضًا مذهلة، لكننا سنغضب عليه، وبينما كان يفكر، سمعنا أنطون وهو يصرخ من أعلى شجرة الخوخ قائلاً:

«أنتم تذهبون إلى المدرسة حتى تحصلوا على وظيفة، وحين تحصلون على الوظيفة، تأخذون إجازة إلى اللاشيء بعيدًا عن العمل؛ فلماذا لا تبدؤون باللاشيء؟»

ومن ثم قذف بثمار الخوخ علينا، حينها بدأت كومة المعنى تتضاءل، وفقدت بعضًا من معناها حتى أصبح الوضع لا يطاق! فصرختُ بقدر ما أستطيع وأنا أحاول تفادي ثمار الخوخ الطرية قائلة:

«انتظر وسترى».

فأجاب أنطون:

«لا يوجد شيء لانتظاره، ولا يوجد ما يستحق الرؤية؛ لأنه كلما طال الانتظار، قلّ ما ننتظره».

حينها أغلقت أذنيّ، وأسرعت إلى المدرسة، ولكن لم أجد الراحة في ذلك اليوم في المدرسة؛ لأن المعلمين كانوا على معرفة بأن صفنا هو السبب وراء اختفاء الأفعى. كم كان هنريك غبيًّا حين أخذ الأفعى بعد حصة الأحياء إلى صفنا! كانوا يجلسون معنا مدة ساعة بعد المدرسة حتى نعترف، جميعنا كان قد وقع في هذا المأزق عدا هنريك؛ لأن والده كان واثقًا بأنه لم يفعلها، فأخذنا نشتمه واصفين له بـ «المتملق هنريك».

بعد أن أنهينا الكومة، ورآها أنطون، وأصبحنا نستطيع إخبار الجميع بالخطة، كان يعلم المتملق هنريك ما الذي سيحدث له، وكان في الوقت نفسه يمشي أمامنا بغرور جامح، حتى صفعه هانز الضخم على أذنيه وخدّيه، فأخذ يطلب العفو، وكان ذلك طبيعيًّا؛ لأن والده قد ألغى احتجازنا.

«كان ابن أخي إليز!»

قالها أوتو، حينها شعرنا وكأن هناك عاصفة هبت في المعمل، كان الوقت حينها ظهرًا عندما كنا نجلس على طرف الكومة، ونحن نعلم علامَ تحتوي، وما الذي يقوله أوتو، فقد توفي ابن أخي إليز عندما كان في الثانية من العمر، ودُفن في فناء الكنيسة على التل؛ فالذي يعنيه أوتو هو أن نحفر تحت تابوته حتى نصل إلى المعمل والكومة، ويُشترط أن يكون ذلك في الليل إذا كنا نريد ألا نُكشف.

حينها نظرنا إلى إليز آملين أن تعارض الفكرة، ولكن لم تقل شيئًا، كان ابن أخيها مريضًا منذ ولادته حتى وفاته، وكان والداها هما من يعتنيان به، في حين كانت إليز تتجول في الشوارِع برفقة أصدقاء السوء، وعلامات دراسية منخفضة في المدرسة قبل أن تنتقل للعيش مع جدّيها. وبعد وفاة ابن أخيها قبل ستة أشهر، انتقلت للعيش مرة أخرى مع والديها، ولا أعتقد أن إليز حزينة بشأن ما حدث له أو بوضعه على الكومة، كانت فقط خائفة من والديها أكثر من خوفها منّا، ولهذا السبب قالت بعد صمت طويل:

«لا نستطيع».

أجاب أوتو:

«بالطبع نستطيع».

قطبت إليز بين حاجبيها قائلة:

«يجب علينا ألا نفعل ذلك!»

«لا تحاولي؛ لأننا سنفعله على أية حال، انتهى».

احتج كارل بشدة أكثر من إليز قائلاً:

«ولكن يعدّ انتهاكًا للمقدسات، سوف نُغضب الرب! لأن الموتى يجب أن يرقدوا في سلام».

ولكن ذهب كل ذلك سدًى حين قال أوتو بشجاعة:

«تتطلب الخطة ستة أشخاص، أربعة سيتناوبون الحفر، واثنان للمراقبة».

نظر بعضنا إلى بعض، ولم يتطوع أحد، فقال أوتو:

«إذًا سنجري قرعة».

كان هناك نقاش طويل حول كيفية إجراء القرعة، واتفقنا أخيرًا على البطاقات، الأربعة الذين يكسبون بطاقات أكثر سيذهبون إلى فناء الكنيسة. يجب أن يكونوا أربعة فحسب؛ لأن على أوتو وإليز أن يكونا ضمن الأشخاص الستة. عرضت عليهم أن أذهب إلى المنزل وأجلب حزمة من البطاقات، ولكن الوقت ينفد منا؛ لذلك قررنا أن نجري القرعة في اليوم التالي. الجانب الإيجابي من ذلك هو أن الحفر سينتهي في الليلة التالية إلا إذا حال بيننا المطر.

في العادة أحب لعبة البطاقات، فلطالما كان هنالك الكثير منها بمختلف أشكالها، عندما أنهيت عشائي ذهبت إلى غرفتي، فأغلقت الباب، حينها أخرجت جميع بطاقات اللعب الخاصة بي، كان من بينها الكلاسيكية ذات اللون الأحمر والأزرق؛ لذلك استبعدتها، إضافة إلى تلك البطاقات الصغيرة التي لم تكن مناسبة للقرعة في رأيي، والبطاقات التي تحمل رؤوس الأحصنة أو المهرجين، أو الرافعات أو الملوك الذين يبدون كأنهم سلاطين عرب.

وأخيرًا تبقّى نوعٍ واحد من البطاقات حيث بدت مناسبة، كان الاتجاه المعاكس أسود اللون بأطراف ذهبية ونحيفة، ولكونها لم تستخدم منذ زمن طويل بدت الأطراف الذهبية سليمة، وما زالت تحتفظ ببريقها، فوضعتها على طاولتي لتفحّصها على حدة، واستبعدت البقية. كان هناك ما ينذر بشؤم بها، ليس في واجهة البطاقات التي تحمل صور ملكة ساحرة وملك بعينين مثقوبتين، وليس أيضًا مدى سوادها، أو العصا ذات الأطراف الحادة، بل في الألماس الأحمر المزرقّ، والقلوب التي جعلتني أفكر في الذي لا أريد أن أفكر فيه.

أو ربما لأني كنت قلقة قليلاً بشأن حفر قبر إميل الصغير، والكثير من الأفكار التي لم أرغب فيها.

كان أمامي خياران: إما أن أخفي ورقة التعادل جيدًا في جيبي حتى أبادل بها غدًا في القرعة، وإما أن أضع علامة على واحدة منها بطريقة لا يلاحظها أحد حتى أستطيع اختيارها عندما يحين دوري، ومع أني لا أعلم كيف أفعلها، لكن راقني هذا الخيار؛ لأن الشخص الذي سيقوم بعدّ البطاقات قبل القرعة سيكشف أمري عاجلاً أو آجلاً؛ فلذلك كان الخيار الأنسب هو وضع علامة عليها.

وبعد تفكير عميق قمت بكشط الأطراف الذهبية من جميع الزوايا الأربع من جهة البستوني؛ ولكي أكون بأمان فعلت الشيء نفسه في بقية أوراق

التعادل، فبدا الكشط وكأنه طبيعي بسبب الاستعمال، حينها شعرت بالراحة؛ لأني لن أحفر قبر ابن أخي إليز في منتصف الليل. في اليوم التالي بدا على الصف نوع غريب من القلق المكبوت؛ لم أسمع مزحة، لا أحد يرسل ملاحظات، أو يصنع طائرات ورقية، حتى في حصة الرياضيات البديلة، ومع ذلك كان هناك بعض الفوضى؛ فالمقاعد كانت تهتز للأمام والخلف، والحصص الدراسية تأتي واحدة تلو الأخرى، وخربشات الأقلام تُسمع على أطراف الطاولات، فضلاً على أقلام الرصاص التي تُقرض أطرافها.

كانت الحصص الدراسية تمر بسرعة، وما إن حل الظهر حتى ظهر للكل باستثنائي، كنت أبتسم بهدوء وخفية، وحصلت على بعض الدرجات لإجابتي عن أسئلة السيد إسكيلدسن التي كانت عن الطقس والرياح والماء في الأمريكتين. وكنت آنذاك أتحسس الأطراف الذهبية للبطاقات الأربع في حقيبتي فينة بعد فينة؛ حتى يتأكد لي معرفتي إياها في وقت القرعة. عندما دق جرس الحصة الأخيرة حزمنا حقائبنا، واصطففنا في ثلاثة صفوف في اتجاهات مختلفة. كان هناك أربعة طرق تؤدي إلى المعمل، ولكن لم نذهب في جماعة إلى هناك إلا مرات قليلة؛ لأننا لم نكن نريد أن يشك بنا الكبار، فيتدخلوا في الأمر.

أخذ الأمر منا حتى نصل إلى هناك عشرين دقيقة، وبعدها أخرجتُ البطاقات من حقيبتي، وسلمتها إلى يوهان، فتفرّس فيها مدة طويلة حتى اتجهت بنظري بعيدًا؛ كي لا يلاحظ ما أنا عليه، فقد بدا وكأنه شعر بالعلامات التي وضعتها، ثم ظهرت بعدها ابتسامة الرضا على يوهان، وبدأ يخلط البطاقات. قطع يوهان لوحة، ووضعها بين طاولتَيْ خشب قائلاً:

«حسنًا، حتى نتجنب الغش، سنأخذ الورقة العليا، أوراق الفوز في الأعلى، وأوراق التعادل في الأسفل، فلْيصطفَّ الجميع...»

أكمل حديثه يوهان، ولكن لم أنصت له، وفجأة شعرت أني بحاجة إلى الذهاب إلى دورة المياه فورًا، كنت أشعر بالبرد الشديد الذي يوصل إلى حد التجمد وكأني على وشك أن أمرض. وددت فقط لو يتاح لي الخيار الثاني، ويكون لديّ ورقة التعادل في جيبي الآن! لم يكن هناك ما يجب عليّ فعله، فقط الوقوف في الصف خلف أورسولا ماري، ونلهو قليلاً.

كان الجميع ممتلئًا ضجرًا وقلقًا، وكأن الصف كان يتحرك مع وقوفه، بدا على أوتو وإليز أنهما لا يتحركان، على حين كانا يقفان إلى جانبنا، يشاهداننا، ويسخران منّا مستمتعَيْنِ بحقيقة أن لا أحد منّا يريد أن ينضم إليهما.

بدأت جيردا القرعة، ولم يَبدُ أي تعبير على وجهها يدل على الراحة أو الخيبة، فقط سحبت البطاقة إلى صدرها ومضت. انفجر هانز الضخم

ضاحكًا، وحمل ثلاث ورقات حيث استطاع الجميع رؤيتها، وضحك سيباستيان أيضًا، ولكن ليس بصوت عالٍ، في حين سحب الأوراق التي تحتوي على ثماني ألماسات.

تقدم الصف واحدًا تلو الآخر، البعض منهم كانوا نشيطين، والبعض الآخر التزم الصمت، ولكن الأغلبية فعل كما فعلت جيردا؛ وهو أنهم سحبوا أوراقهم بالقرب من صدورهم في حين كان البقية يقترعون. ثم أتى دور أورسولا ماري، وترددت لحظة قبل أن ترفع الورقة العليا، ولكن تنفست الصعداء حين أخذت الخامسة منها.

وبعدها أتى دوري، وحينها علمت في الحال أن ورقة التعادل ليست في الأعلى؛ فالحافة الخشنة الأولى يقع تحتها العديد من الأوراق. خطرت ببالي فكرة آنذاك، وهي إيقاع الأوراق على أن يبدو ذلك غير متعمَّد، وبعدها أجمعها، وأضع ورقة التعادل في الأعلى، ولكن ريتشارد كان يستعجلني؛ لأنه خلفي، فكل ما فعلته هو اختيار الورقة العليا ذات الأطراف الذهبية السليمة، ورقة البستوني، فثلاثة عشر من ثلاثة عشر يساوي ثلاثة عشر. لم يُغمَ عليّ، ولكن أكمل البقية الاقتراع دوني، لم أبقَ هناك حتى رأيت نفسي بين مجموعة مكوّنة من أوتو، وإليز، ويوهان، وريتشارد، وكارل. كان أوتو هو المسؤول، فقال:

«سنلتقي في الساعة الحادية عشرة بالقرب من دراجة ريتشارد؛ لأن الطريق من هناك أقصر إلى فِناء الكنيسة».

قال كارل:

«ليست فكرة جيدة! ويمكنكم طردي من المهمة».

فأجابت إليز وكأنها فقدت شجاعتها:

«وأنا أيضًا لا أعتقد أنها فكرة جيدة! هل هناك ما يمكنني أن أمنحه بدلاً من ذلك؟ على سبيل المثال ساعتي».

فكشفت إليز عن ساعدها ليرى الجميع ساعتها الحمراء التي اشتراها لها والدها عندما انتقلت للعيش مع جَدَّيها، ولكن أومأ أوتو برأسه معارضًا، فقالت:

«إذًا مشغل الموسيقى الخاص بي؟»

ضربت على جيب معطفها حيث تخبئ أعجوبتها؛ كي لا يصل إليها أحد. لا أعتقد أنها كانت حزينة جدًّا بشأن حفر قبر ابن أخيها، بل خائفة من أن يكتشف والداها ذلك، فيرسلاها بعيدًا حتى تنضبط. فرفض أوتو أيضًا وبشدة، وهي لم تصر على رأيها، بل اكتفت بقول:

«إذًا يجب علينا أن نتذكر كيف كان الوَرد؛ حتى نتمكن من إرجاعه ووضعه بالطريقة نفسها».

أمر أوتو بعدها يوهان بجلب مِجرفة، وسنستعير الأخرى من والدَيْ ريتشارد، وعلى كارل أن يجلب قاطرته، وأنا وإليز علينا التحقق من أن المصابيح معنا، في حين سيتولى أوتو إزالة الغبار عن التابوت بمكنسة. تأثر كارل وبشدة حين سمع بالتابوت، وأعتقد أنه بكى أيضًا، ولأول مرة لم يذكر أوتو أن الجميع اتفقوا على ذلك؛ فقد اكتفى بقول:

«الساعة الحادية عشرة بالقرب من دراجة ريتشارد».

الفصل العاشر

ضبطت المنبه على الساعة العاشرة والنصف، ولكن ذلك لن يزعجني؛ لأني لم أعتد النوم حتى وقت الاستيقاظ الفعلي، بل كنت أستيقظ قبل ذلك بساعة أو أكثر. عند الساعة العاشرة وخمس وعشرين دقيقة، نهضت من سريري، وأطفأت المنبه، ثم ارتديت بنطال جينز وسترة، بعد ذلك ارتديت حذاء مطاطية، وأخذت المصباح الذي كنت قد وضعته على الطاولة. كنت أسمع آنذاك صوت التلفاز المنخفض قادمًا من غرفة المعيشة، ومن حسن الحظ أن منزلنا عبارة عن طابق واحد؛ ولذا أستطيع الخروجِ من نافذة غرفتي دون أن يلاحظني أحد.

وضعت كتابًا في النافذة؛ حتى لا تُغلق وابتعدت، كان الجو باردًا أكثر مما ظننت، اضطررت إلى فرك يديّ لأنني كدت أتجمد بسبب سترتي الخفيفة. وددت لو أعود إلى سريري، ولكن سيضعني ذلك في مأزق؛ لأن أوتو كان قد أقسم بأنه إن تخلّف شخص واحد عن الحضور عند دراجة ريتشارد، فسيعود البقية إلى منازلهم، ويتكفل الشخص بهذه المهمة وحده. فكانت فكرة البقاء وحيدًا في فِناء الكنيسة في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل كفيلة بأن تجعلني أسرِع في الخُطا، وكان الركض قد ساعدني في الوقاية من البرد.

عندما وصلت إلى دراجة ريتشارد، كانت الساعة ما بين العاشرة والحادية عشرة، حيث وجدت يوهان وكارل هناك، ثم أتت إليز، وبعدها بوقت قصير ظهر ريتشارد من مدخل منزله، أما أوتو فقد أتى في الساعة الحادية عشرة تمامًا، فقال:

«لِنذهبْ!».

بعد أن تأكد له أن كل شيء على أتم الاستعداد: المجرفتان، والمصابيح، وقاطرة كارل. لم يتحدث أحد منا ونحن ذاهبون إلى الكنيسة، حيث البلدة كانت في صمت عميق، لم يسبق للبلدة أن تلتحف الصمت هكذا، وخاصة في وقت متأخر من يوم ثلاثاء معتاد. كنا نمضي في الطريق بالقرب من سياج حديقة ريتشارد، ثم نزلنا إلى أسفل الطريق حيث يعيش سيباستيان ولورا، وبعدها أسرعنا إلى المخبز حتى نتجنب الممر المؤدي إلى بيت أورسولا ماري الذي يقع في تيرينغ هوفدجاد، وأخيرًا وصلنا إلى فناء الكنيسة بعد أن واجهنا قطتين عدوانيتين هربتا بركلة واحدة من أوتو.

كان تل فناء الكنيسة شديد الانحدار، والممر المؤدي إلى القبور كان مغطى بالحصى؛ لذلك تحتّم علينا ترك قاطرة كارل عند البوابة الحديدية، ولكن ذلك لم يعجب كارل، فهدده أوتو بالضرب إذا تصنّع الأعذار. كانت أعمدة الإنارة تُضيء الطرق بلون أصفر باهت ومخيف، وكانت

أشجار الصنوبر تحجب فناء الكنيسة من الطريق، وكان من الممكن أن تحمينا من العيون الفضولية، حتى إنها تحجب إنارات الطريق، وهذا ما كنا نريده.

لم يكن هناك ضوء باستثناء القمر والمصباح السداسي الواقع في مدخل الكنيسة، فضلاً على ضوء مصابيحنا. كان الظلام حالكًا، وكنت خائفة، لم تعجبني فكرة أن نبدأ من فِناء الكنيسة، وخاصة في هذا الوقت من الليل الذي لا يطاق، ومع أننا كنا نمشي بحذر كان الحصى يُسحق بشدة تحت أقدامنا، كنت أعد: خمسة وعشرون، خمسة وثلاثون، خمسة وأربعون... حتى المئة، مرارًا وتكرارًا في داخلي، إلى الأمام ثم إلى الخلف، أمام، خلف، وهلم جرًّا.

بحثنا في الأرجاء الحالكة قبل أن تتعرف إليز الاتجاهات وتدلنا على قبر ابن أخيها. بينما ما زلت أَعُدُّ: سبعة وسبعون، سبعة وثمانون، سبعة وتسعون، ثم وجدنا القبر:

«الابن والأخ الحبيب إميل جنسن 3 يناير عام 1990 حتى 21 فبراير عام 1992»

هكذا كُتبِ على شاهد القبر، وحين ألقيت نظرة على إليز لاحظت أنها لم تتأثر بجزء «الابن والأخ الحبيب». ومع ذلك كنت أرى سبب وضعه في كومة المعنى، فلابن الأخ مكانة خاصة مهما حدث. حتى لو لم يكن

يستحق كُلَّ الحب. كان شاهد القبر من رخام أبيض اللون جميل مع حمامتين على قمته، وورد أحمر وأبيض وأصفر على مقدمة القبر. نظرت إلى السماء المزينة بالنجوم والقمر لأفكر بما قاله أنطون هذا الصباح حين بدأتُ بالبكاء. وهو أن دورة القمر حول الأرض سبعة وعشرون يومًا، حيث تأخذ دورة الأرض حول الشمس سنة كاملة. حينها توقفتُ عن البكاء، ولكن لم أستطع النظر إلى شاهد القبر والحمامتين مرة أخرى. فأمرنا أوتو أنا وإليز أن يذهب كلٌّ منا في اتجاه للمراقبة، واحتفظَ بالمصابيح؛ لأنهم بحاجة إليه للحفر، فتحتم علينا أن نجد الطريق المؤدي إلى نهاية الكنيسة بأنفسنا بين القبور ومن خلال ضوء القمر. وذلك جعل كل شيء أزرق وأشبه بالأشباح. قامت إليز بالحراسة عند المدخل الخلفي للكنيسة بالقرب من منزل القسيس وبعيدة عني، حيث كنا لا نتحدث، بل أيضًا لم نكن نشعر بالراحة عند رؤية بعضنا لبعض، فحاولتُ أن أصُب اهتمامي على الكنيسة، والجدران الحجرية الخشنة ذات اللون الأبيض. كانت الأبواب الخشبية ذات اللون الفاتح تحتوي على نقوش، وفوقها نوافذ مصنوعة من الزجاج الملون الذي يبرز في الظلام. واحد، اثنان، ثلاثة، وبدأتُ العدَّ من جديد! كان هناك صوت غريب يأتي من القبر الذي ورائي كلما ضربت المجارف في الأرض، صوت ارتطام ثم هسهسة، كانت التربة تنزلق من المجارف.

ارتطام، هسهسة، ارتطام ثم هسهسة، فقد كانت المجارف تعمل بسرعة وبنجاح، ثم ارتطمت ارتطامًا قويًّا بشيء ما، وهذا يعني أن الصِّبية وصلوا إلى التابوت. وبعدها بدؤوا يعملون ببطء بالقرب من أطراف التابوت للحفر بقدر الإمكان. اقشعرَّ جسدي من الفكرة، لذلك شعرت بالرجفة، وحاولت ألاّ أفكر به بِعدّ أشجار الصنوبر. كان هناك نحو ثماني عشرة شجرة طويلة، وسبع شجيرات في الممر المؤدي من الطريق إلى الكنيسة. وكانت الأغصان تتمايل برفق بسبب النسيم الذي لا أشعر به. وبينما كنت أحتمي وراء باب فِناء الكنيسة، تقدمتُ خطوتين إلى الأمام بعدها خطوة، ثم خطوتين إلى الوراء في الجهة التي كنت أقف فيها. وفعلتُها من جديد لكن في الجهة الأخرى، كرقصة قصيرة اختلقتُها. خطوتين إلى الأمام، وخطوتين إلى الخلف وهلُمّ جَرًّا. وتوقفت فجأة حين سمعت صوت أقدام تطأ الحصى برفق، فألقيت نظرة على الممر ولكن لا يوجد أحد، ودِدت حينها أن يكون معي المصباح حتى أرى. ثم أتى الصوت مرة أخرى من نهاية الممر حيث البوابة، شعرت بحاجة شديدة للتبول، إضافة إلى أني كنت على وشْك الذهاب إلى الصِّبية، ولكن تذكرت ما قاله أوتو، أنه سيُقيدني إذا أتيت بهذه الطريقة. لذلك أخذت نفَسًا عميقًا، وجعلت يديَّ على شكل كوب، ثم أطلقت صفيرًا من خلال إبهامي إلى تجويف كفّي،

وسمعت الصوت مرة ثالثة، فأطلقت صفيرًا بكل ما أوتيت من قوة، ثم ظهر أوتو هامسًا:

«ما الذي يحدث؟»

كنتُ خائفة جدًّا حتى إنني لم أستطع الإجابة إلاَّ بالإشارة بإصبعي على أسفل الممر، فسخر أوتو قائلاً:

«بربّك!»

ولأني كنت خائفة من عصيان أوتو بقدر خوفي من ذلك الشخص، تبعت أوتو خلف أشجار الصنوبر حيث كان الضوء خافتًا، مشينا خطوات قليلة، ثُم توقّف أوتو لإلقاء نظرة حولنا، وكنت آنذاك خلفه؛ لذلك لم أرَ شيئًا. وبعد أنْ أدركنا أنّ الوضع آمن، أكملت أنا وأوتو المشي بخطوات بطيئة ودون أدنى صوت. كان قلبي ينبض بشدة، وأذناي يتخللهما الطنين وكأننا لصوص بين أغصان أشجار الصنوبر. وبعدها دفع أوتو الأغصان جانبًا، فقفز إلى الممر، وسخر قائلاً:

«ها!»

نظرت من أعلى كتفه فشعرت بالغباء؛ لأنه اتضح أن الشخص لم يكن إلاّ كلبة سورينسن سندريلا، فبعد وفاة سيدها الشيخ رفضت سندريلا أن تقيم في أي مكان إلاَّ على قبره. كانت تحاول الاستكشاف عندما سمعَتْ صوت المجارف، لذلك مشت ببطء ورزانة إلى أعلى التل، وكانت تعاني

التهابًا في المفاصل، ولحسن الحظ أنها لم تكن مِمن ينبح، فقط حدّقت بنا وأخذت تشم قدمي.

ربّتُّ على رأسها برفق، وعدتُ إلى حيث كنتُ، لم يمضِ وقت طويل حتى أتتنا إشارة أوتو التي توحي بأن الحفر قد انتهى، فاستخرجوا التابوت الصغير، حيث بدا مهجورًا وسيِّئ المظهر، ولكن لم يكن هناك وقت للتفكير بذلك لأنه حدثت مشكلة ما؛ فالصِّبية قاموا بإرجاع التراب الذي حفروه إلى القبر، ولكن لم يمتلئ إلاّ ثلاثة أرباع القبر.

عرفنا حينها أنّ هناك قانونًا بالفيزياء لم نتعلمه؛ ألا وهو عندما نستخرج مادة من الأرض، فإن الحيِّز الذي كانت تشغله تلك المادة من الأرض سيتقلص نسبيًّا إلى حجم هذه المادة؛ لذلك أي شخص يمر بالقرب من قبر إميل سيلاحظ أن إميل جنسن لم يعد هناك. بدأت إليز تبكي ولم تتوقف مع إصرار «أوتو»، توقفنا لحظة دون أن نعرف ما يمكننا القيام به، وبعدها خطرت ببالي فكرة، وهي وضع بعض من شواهد القبور في الحفرة، ثم تغطيتها بالتراب. بالطبع سيلاحظ حارس الكنيسة اختفاء هذه الشواهد، ولكن لن يستطيع معرفة مكانها، وكان كل ما علينا فعله هو أن نتحقق أن الوَرد في مكانه الصحيح كما كان سابقًا.

استغرق الأمر منا وقتًا والكثيرَ من الجهد حتى ننقُل الشواهد إلى قبر الصغير إميل، وتركنا الشواهد القريبة من القبر؛ حتى لا يلاحظ الحفر

أحد، وفي نهاية المطاف طُبِّقت الخطة جيدًا، وارتفعت التربة بشكل مناسب، ومن ثم الحصى والورد. كان الورد قد تأثر بعض الشيء، وهذا ما جعلنا نرتبه بمكنسة أوتو قليلاً. حين دقت ساعة البلدة عند منتصف الليل بعدما أنهينا المهمة ومضينا بالتابوت، تسمّرت في مكاني، ورأيت وجوه الصِّبية التي شحَبت في الظلام؛ فقد كان لساعة البلدة رنين عميق أكسب الصدى العائد إلى المقبرة صوت استغاثة ثقيلة شبحية.

«هيا بنا، هيا!»

ولكن لم يتحرك أحد منا، ولم أستطع النظر أو إغلاق عينيّ، فقط حدّقت بيوهان كما لو أني أتحدى عينيّ بأنه الصورة الوحيدة. ولم أستطع أن أُحصي عدد الضربات التي تلقيناها، ولكن كانت أكثر من اثنتي عشرة ضربة. وبعد وقت طويل توقفت الضربات، وسادَ الصمت مرة أخرى، حينها نظر بعضنا إلى بعض بقلق، فتنحنح يوهان وهو يشير إلى التابوت قائلاً:

«لِنخرجْ من هنا!».

لاحظت آنذاك تجنّب يوهان لكلمة «تابوت»، كان التابوت أبيض حين وضعوا إميل الصغير بداخله، أمّا الآن فالأبيض بدا مُنقّطًا ومهشمًا، كان هناك دودة تزحف في زاوية ما، فرفض كارل أن يحمل التابوت حتى أبعدها أوتو، ثم حمل الأربعة التابوت؛ كارل وأوتو من جهة، وريتشارد

ويوهان من الجهة الأخرى. كانت إليز قد توقفت عن البكاء عندما دق جرس البلدة، ومشت في المقدمة لتضيء الطريق، وأضأت أنا الطريق من خلفهم. كان التابوت ثقيلاً أكثر مما ظننا حيث كان الصِّبية يعرقون ويرتجفون، ولكن لم يدَعهم أوتو يأخذون قسطًا من الراحة حتى نصل إلى نهاية الطريق.

بالنسبة لي لم أرَ هناك سببًا لأخذ قسط من الراحة أكثر برأيي؛ لأننا أخذنا وقتًا كافيًا في فِناء الكنيسة، فليس هناك سبب للتوقف. سمعت صوت الحصى من خلفي، وحين التفتُّ رأيت سندريلا تمشي بتثاقل وبطء خلفنا وكأنها في موكب جنازة، في البداية كان الأمر مريحًا، وجعلنا أكثر قوة، ولكن ما إن وصلنا إلى نهاية الطريق وحملنا التابوت إلى داخل القاطرة، حتى فقدنا شجاعتنا في النظر إليها لنعرف أما زالت تتبعنا أم لا. لن يكتشف حارس الكنيسة في صباح اليوم التالي الشواهد المفقودة فحسب، بل أيضًا سندريلا، ولكن لم يكن هناك شيء لنفعله، ومع أننا حاولنا إعادتها إلى فناء الكنيسة نحو أربع مرات على التوالي، هي لا تزال تتبعنا؛ فلذلك استسلمنا لعلها تستسلم من تلقاء نفسها، ولكنها لم تستسلم، فعندما وصلنا إلى المعمل وفتحنا الباب، قفزت سندريلا إلى الداخل قبلنا، أشعلت الأنوار ودخل الصِّبية بالتابوت إلى المعمل.

لم يكن ضوء النيون الساطع مخيفًا جدًّا آنذاك؛ لأن كل ما لدينا طفل ميت داخل خشب ليس إلا. هكذا كنت أقول لنفسي كلما نظرت إلى التابوت الذي وُضع أسفل الكومة؛ لأنه كان ثقيلاً جدًّا لا نستطيع وضعه في الأعلى، إضافةً إلى أننا كنا متعَبين جدًّا، فأهملنا القلق بشأن سندريلا، وتركناها على حالها، أطفأنا الأنوار، وأغلقنا الباب، ثم أسرعنا بالعودة إلى بيوتنا. عندما وصلت إلى نهاية الطريق حيث يقع منزلي تمنيت للجميع ليلة سعيدة، وأسرعت إلى المنزل مباشرة، كان الكتاب ما زال كما وضعته في النافذة، فتسلقت إلى الداخل، ثم قفزت إلى السرير دون إيقاظ أحد.

قام فريدريك وكارل بالتقاط أغلفة الحلوى، في حين حمل سيباستيان وأوتو وهانز الضخم الأخشاب إلى خلف المعمل، ومايكن وجيردا وإليز.

الفصل الحادي عشر

كيف استطاعوا التحديق عندما رأوا سندريلا والتابوت في أعلى الكومة؟

كنا نحن الستة الذين قضوا ليلتهم في فناء الكنيسة في اليوم التالي في المدرسة نغط في نوم عميق، ولكن بالطبع كنا سعداء وليس العكس! كان الأمر قد انتشر في الصف، وعلت الهمسات حتى غضب السيد إسكيلدسن، وصرخ فينا لنصمت، فصمت الجميع، ولكن سرعان ما علت الأصوات، وصرخ السيد إسكيلدسن من جديد. عندما انتهت الحصة الدراسية الأخيرة شعرنا وكأنه مضى دهر، ثم تفرقنا نحو طرق مختلفة متجهين إلى المعمل، ولم تنتهِ انتصارات واحتفالات الليلة الماضية طوال الطريق.

كان فناء الكنيسة غارقًا في الظلام، وواضح مدى أهمية الأمر وخطورته كما لو أنّ القصة ما تزال يتداولها الناس. وفي الأيام التي تلت، كانت البلدة كلها تتحدث عن التخريب الذي حدث في فناء الكنيسة، وأنه قد سُرق شاهدَا قبرٍ، وتظهر آثار أقدام شخص حول قبر إميل الصغير، وسندريلا اختفت. كانت هذه الواقعة الأخيرة علامة ندم بالنسبة لهم، بسبب ترك هجين عجوز في فناء الكنيسة يتبول على شواهد القبور، ووضع أشياء أسوأ مما نتوقع.

لا أحد شك بنا، حتى والدتي لم تشك عند رؤيتها للحصى، والأوساخ الموجودة على سجادة غرفتي. فقط أخبرتها أني نسيت خلع حذائي عند دخولي للمنزل بعد أن لعبت مع صوفي في الملعب الذي خلف منزلها. حتى إن خلعت الحذاء فلا يقارن ذلك بالذي سيحدث لو علمت أين كنت فعلاً. وفي الحقيقة كانت سندريلا هي التي صعّبت علينا الأمر؛ لأنها رفضت أن تغادر تابوت الصغير إميل ولو دقائق قليلة، في اعتقادها أنّ ما في داخله بقايا سورنسن، لم نستطع إخراجها من المعمل خلال النهار؛ لأنه إن رآها أحدهم معنا فسيشك بنا ويفهم ما حدث في فناء الكنيسة.

حتى صوفي لم تستطع إخراجها في الليل مع أنها تعيش بالقرب من المعمل؛ لأنه غير مسموح لها بالخروج في وقت متأخر من الليل، إضافة إلى قناعة والديها بأنها قضت الكثير من الوقت في المعمل. لذلك إليز حلّت المشكلة وكأنها اشتاقت إلى ابن أخيها بعدما أصبح تحت حمايتنا. ومن المرجح أن حراسة سندريلا للتابوت كانت بسبب شوق إليز، ولكن بغض النظر عن السبب بدأت إليز تذهب بشكل دائم كل ليلة إلى المعمل حتى تأخذ سندريلا لاستنشاق الهواء.

كنا في منتصف سبتمبر آنذاك حيث كانت الشمس تغيب عند الساعة الثامنة والنصف، لذلك كان لإليز متسع من الوقت حتى تعود إلى المنزل،

إضافة إلى أن والديها لا يمانعان أن تبقى خارج المنزل حتى وقت متأخر. شرحت إليز وكأنها لا تعلم أجيدًا كان ذلك أم سيئًا قائلة:

«بقي شيء آخر، شَعر أورسولا ماري!»

حينها اتجهت أنظارنا إلى أورسولا ماري بدهشة؛ لأننا كنا قد نسينا أنه حان دور إليز في اختيار ما يذهب إلى كومة المعنى بسبب أمر فناء الكنيسة. وضعت أورسولا ماري يديها احتجاجًا، ولكن اتضح أنه لا جدوى منه حين ضحك حسين قائلاً:

«معي مقص».

أخرج المقص من سكين الجيش السويسري الخاص به بعد أن اتفق الجميع على قص شعر أورسولا ماري من النصف، فقالت إليز:

«أنا التي ستقص».

رفض حسين قائلاً:

«إنه مِلكي؛ لذلك أنا من سيقص».

لم تنبِس أورسولا ماري ببِنت شَفة وهم يقصون شعرها، لم أرَ سوى دموعها التي تنحدر من خديها، وكأنّ زرقة شعرها قد انعكست على شفتيها؛ لأنها أخذت تقرضها حتى نزفت. حينها نظرتُ إلى الجانب الآخر حتى لا أبكي أيضًا؛ فقصّ شعر أورسولا ماري أسوأ من قص شعر سامسون؛ لأنه بدون شعرها لن تعود أورسولا ماري ذات الضفائر الزرقاء

الست على الإطلاق. لذلك تساءلت هل كان هذا هو السبب وراء جعل الضفائر الزرقاء جزءًا من الكومة، ولكن لم أهتم لقول ذلك علنًا، وصمتُّ؛ لأنها صديقتي الوحيدة، حتى لو لم تعد أورسولا ماري ذات الضفائر الست. قصّت إليز شَعر ضفيرة واحدة أولاً، ثُمَّ قص حسين الثانية، كان العمل شاقًّا؛ لأنّ المقص غير حاد وشَعر أورسولا ماري كثيف؛ لذلك استغرق القص عشرين دقيقة حتى ينتهي. في ذلك الوقت بدت أورسولا ماري وكأنها تائهة تبحث عن ملاذ، في حين وُضعت الضفائر الزرقاء المقصوصة في أعلى الكومة، بل كانت أكثر زرقة!ظلت أورسولا ماري مدة طويلة تنظر إلى ضفائرها، لم تعد تبكي، ولكن كانت عيناها تتَّقِدان غضبًا؛ فالتفتَتْ إلى حسين، وقالت بصوت هادئ وبنبرة محتدة:

«اجلب سجادة الصلاة الخاصة بك».

الفصل الثاني عشر

ثار غضب حسين حتى إنّ هانز الضخم وأوتو بدَأَا يضربانه في حين وقف البقية للمشاهدة. أخذ العراك وقتًا حتى استسلم حسين أخيرًا وهو ممدد، ووجهه على نشارة الخشب، وأوتو على ظهره. التزم الصمت، لكن حينما سمحَا له بالوقوف بدا مظهره مرعبًا، لقد كان يرتجف من الخوف بسبب شخص ما، لكن ليس هذا الشخص هو أوتو أو الضخم هانز. لم نستطع معرفة هذا الشخص إلاّ بعد أنْ سلّم لنا سجادة الصلاة، ولم يأتِ إلى المدرسة إلاّ بعد أسبوع.

كان وجهه متلونًا باللون الأسود والأزرق والأصفر وذراعه اليسرى مكسورة؛ وذلك لأنه لم يَعُد مسلمًا صالحًا مثلما أخبره والده وأوسعه ضربًا. ولكن ضربه لم يكن أسوأ من كونه مسلمًا طالحًا، لقد بدا وكأن هناك شيئًا ما بداخل حسين قد كُسر؛ لأنه لوحظ وهو يسحب قدميه مطأطئ الرأس في حين كان دائمًا ما يُنصف في العراك والمشاجرات، أما الآن فهو لن يستطيع حتى الدفاع عن نفسه، ولكن الحق يُقال، وهو أنّ سجادة الصلاة جميلة جدًّا. كان التطريز يتضمن ثلاثة ألوان متداخلة: أزرق، وأحمر، ورماديًّا، وكان التطريز ناعمًا جدًّا، حتى إنه من المرجح أن تترك سندريلا تابوت الصغير إميل من أجله.

ولكن وضع يوهان السجادة في أعلى الكومة، حيث لن تصل إليها سندريلا، وذلك أدى إلى بقائها أيضًا. عندما أتى دور حسين اكتفى بهز رأسه، لم يكن يريد اختيار شخص ما لولا إصرارنا أن أنطون سيهتف علينا كالمعتاد. كنا آنذاك في شهر أكتوبر، حيث كنا في انتظار نهايته حتى ننتهي من هذه الكومة، ولكن بقي خمسة منا لم يحن دورهم. وأخيرًا تحدث حسين مشيرًا إلى هانز الضخم بهدوء قائلاً:

«الدراجة الصفراء».

في الحقيقة كانت ضربة قاضية! لأن الدراجة كانت دراجة سباق ذات مصباح نيون من العلامة التجارية الجديدة. أخذ هانز الضخم يشاور نفسه حيث جعلنا ننتظر يومين كاملين، حتى يحضر دراجته ويضعها إلى جانب الكومة. حينها أصبحنا قادرين على التحكم في الباقي، فكما قيل: «شيء أفضل من لا شيء»، فكون هانز الضخم سلّم لنا دراجته سيجعله فضوليًّا ويفعل شيئًا سيئًا. حينها سيخبر البعض منا حسينًا بأن يختار شيئًا آخر، ولكن لم نعلم بشأن ذلك، وأصررنا على تسليم دراجته الصفراء كما قال حسين. وكانت صوفي هي أكثرنا إصرارًا، حيث لم يسبق لها أن كانت كذلك.

الفصل الثالث عشر

لم أستطعِ أن أتخيل أن صوفي من الممكن أن تتخلى عن شيء ما؛ لأنّ الصِّبية هم من يفكرون بذلك، كان ذلك فادحًا وكريهًا، أن يكون أغلبنا يتذرعِ نيابة عنها، فهي لا تكاد تقول شيئًا، كل ما تقوله هو: لا ، وتومئ برأسها مرارًا وتكرارًا، وأحيانًا تومئ ببعض من أجزاء جسدها. هانز الضخم كان عنيدًا، أمّا نحن فقد كنا غير منزعجين تمامًا عندما أُجبر على تسليم دراجته الصفراء، فقلنا:

«ليس كذلك».

فقال هانز الضخم:

«كيف علمتم أن لا مبالاتي بدراجتي الصفراء بالنسبة إليّ كمدى أهمية عذرية صوفي؟»

في الحقيقة لم نكن نعلم مدى أهميتها مع شكوكنا بشأنها، ولكن فجأة اتفقوا على أن هانز الضخم سيجعلها تخسر في الليلة التالية في المعمل، حيث تطوعِ أربعة صِبية لتقديم المساعدة إذا لزم الأمر، في حين أُرسل بقيتنا إلى منازلهم حتى لا يقدموا المساعدة لها. كان ذلك اليوم يومًا مخيفًا في المدرسة! جلست صوفي على مقعدها بصمت كجدار الصف،

حتى عندما حاولت إحدى الفتيات تهدئتها، ولم يجرؤ أحد على أن يقول شيئًا حول ما سيحدث لصوفي.

في الحقيقة كان أسوأ من إحداث متاعب للسيد إسكيلدسن، لم يعرفنا قط بهذا الهدوء، لذلك بدأ الشك يعتريه، فأخذ يتجول في الصف بشكل غريب لأول مرة منذ بداية العام الدراسي. كان محقًّا، ولكن لحسن الحظ لم يربط ذلك بطاولة أنطون الفارغة؛ لأنه إذا لاحظ ذلك فلن نستطيع تسيير الأمور كما يجب. بينما أخذ السيد إسكيلدسن يسأل عن تصرفاتنا طوال شهر أغسطس، نظرتُ إلى صوفي، لا ألومها إن أجابت وأخبرت عما نفعله تحديدًا، ولكنها لم تفعل، فقط جلست بوجه شاحب وهدوء ورباطة جأش كما لو أنّ إميل الصغير وُضع للتو في التابوت، أو بالأصح كما لو أنّ هناك قديسًا يراقبها وهي تموت كما تخيلت.

حينها بدأت أفكر في الأمر، كيف حدث وكيف لم يزل أنطون يصرخ علينا من أعلى شجرة الخوخ الخاصة به حين نمُرّ في 25 جادة ترينغفيج صبحًا وظهرًا. لم نكن فقط مَن جُنّ، لأنه على ما يبدو سيخسر إذا لم ننزله من على الشجرة قريبًا. فقط صرخ في اليوم السابق وهو يتأرجح بين أغصان الشجرة قائلاً:

«لدى قردة الشمبانزي دماغ وحمض نووي مثلنا تقريبًا، لذلك لا يوجد أدنى تميز حول كوننا بشرًا».

وقال هذا الصباح:

«عدد البشر ستة مليارات، وهو عدد هائل، ولكن سيصل العدد إلى ثمانية مليارات ونصف المليار بحلول عام 2025، أي إنّ أفضل شيء نفعله من أجل مستقبل العالم هو أن نموت».

لا بد من أنه أتى بهذه المعلومات من الصحف! لا أرى أي فائدة وراء جمع معلومات من الآخرين، فهي كفيلة بما يكفي لأن تقتل من لم يكبر بعد واكتشف شيئًا لنفسه، ولكن كبار السن يحبون المعرفة، فالزيادة أفضل، ولا يهم أن تكون المعرفة من أناس، أو شيئًا تعلمته من القراءة. كانت صوفي صبورًا؛ لأنّه ما باليدِ حيلة، فمن المؤكد أن هناك شيئًا يستحق رغم كل شيء، حتى لو كنت مضطرًّا لخسارته.

لا أعلم ما الذي حدث تمامًا في الليلة السابقة بينها وبين الضخم هانز حتى فقدتها، ولكن في اليوم التالي كان هناك كمية قليلة من الدم والطين في منديل على أعلى الكومة، وكانت صوفي آنذاك تمشي بطريقة مضحكة قليلاً بسبب الألم، ومع ذلك بدت صوفي فخورًا، ولا أحد قادر على أن يقترب منها، في حين كان الضخم هانز يدور حولها محاولاً إرضاءها. فهمست جيردا في أذني وهي تقهقه قائلة:

«ربما يود أن يفعل ذلك مرة أخرى».

كانت قد نسيت تمامًا أنها لا تتحدث إليّ بسبب أوسكار الصغير، لكني لم أجبها. حاولت لاحقًا أن أستميل صوفي لتخبرني بما حدث وكيف كان ذلك، ولكن لم تقل شيئًا. فقط أخذت تتمشى وكأنها تبحث عن سر كبير لأنه سُلم لها مفتاح شيء ذي معنى عظيم بل أعظم!

كان قد بقي ثلاثة منا لم يسلموا شيئًا، وهم كارل وروزا الجميلة ويوهان. حتى نُري أنطون كومة المعنى، كي يقطع وعدًا بألاَّ يجلس على شجرة الخوخ مرة أخرى ويصرخ فينا. اختارت صوفي كارل ليسلم المسيح المعلق على الصليب.

الفصل الرابع عشر

لم يكن المسيح المعلق على الصليب إلهًا بالنسبة لكارل فقط، بل أكثر الأشياء رعبًا في كنيسة تيرينغ، وكنيسة تيرينغ كانت بحد ذاتها أكثر الأشياء رعبًا في البلدة. ولذلك كان المسيح المعلق على الصليب أكثر شيء مرعب يمكن لأي أحد منا أن يتخيله. هذا إذا كان أحد منا يؤمن بذلك كله، وربما كان المسيح بغض النظر عمّا نؤمن به مجرد تمثال معلق على الحائط خلف مَذبح يُخيف الأطفال الصغار، إضافة إلى كبار سن بأعين دامعة على رأس المسيح المنحني الحامل لتاج ذي أشواك، وبقطرات الدم التي على وجهه المخيف، ذلك الوجه الملتوي بسبب الألم ولاهوته، وبتينك اليدين والقدمين المثبتة على الصليب المصنوع من خشب صلب جميل كما ذكر القسيس.

ومع إصراري وإصرار الأشخاص ممن يرون أنه لا وجود للمسيح والرب؛ ومن ثم ذلك لا يعني شيئًا، كنا نعلم أن المسيح المعلق على الصليب الخشبي كان يعني الكثير لكارل. كان كارل يحتاج إلى المساعدة، وبالنسبة لنا يحق له طلب المساعدة منا، فهي مسؤوليتنا، وللمرة الثانية أخذت أوراق اللعب الخاصة بي إلى المعمل ولكن كانت الأوراق التي رُسم عليها مهرجون في الخلف؛ حتى نُجري قرعة أخرى، كان دور

أورسولا ماري ويوهان وريتشارد ومايكن في اقتراع الأوراق العليا، إضافة إلى من سيساعدون كارل، بغض النظر عن تحفظ كارل بأنه لا يمكننا فعل ذلك. لأن كارل .... (1)بعض الشيء عندما قال يوهان: إنّ كارل يحمل الشفرة، لذلك يمكنه الذهاب إلى المعمل متى أراد ليصلي للمسيح، وإنه سيعيد المسيح بأسرع وقت ممكن إلى الكنيسة عندما ننتهي منه.

لم أكن جزءًا من ذلك إلا حينما أخبرتني أورسولا ماري التي فقدت ضفائرها الست هامسة بأنه لم يُعمل كل شيء وفق الخطة. وذلك كان في صباح يوم الاثنين في حصة الموسيقى عندما كان يستمع الجميع إلى موسيقى بيتهوفن. في الأحد من الأسبوع التالي كان يجب على كارل أن يختبئ في الكنيسة كما اتفقنا، وعندما ينتهي الجميع من الصلاة وتُغلق الكنيسة بذهاب الجميع إلى منازلهم، يأتي يوهان وريتشارد ومايكن ويطرقون الباب ثلاث طَرقات قصيرة وثلاثًا أخرى طويلة، ثم يفتح كارل الباب لهم ويُدخلهم. ولكن فشلت الخطة! فقد أخذ كارل يبكي بعد أن زحف الثلاثة إلى المركع، وذهبوا وراء المذبح، أجهش كارل بالبكاء وتوسل إليهم كثيرًا ألاّ يجبروه على البقاء في الجانب الآخر، وكان على مايكن أن تبقى معه كي لا يهرب ولكن ذلك لم ينجح، فقد قالت له مرارًا وتكرارًا: إنها لم ترَ المسيح أو الرب قط من التلسكوب مع أنها بحثت عنهما جيدًا، حتى علماء الفلك في العالم كله لم يروهما.

صرخ كارل عاليًا كي لا يسمع ما تقوله مايكن، فاستسلمت في نهاية الأمر؛ لأنها خافت من أن يسمع أحد من خارج الكنيسة صراخ كارل. في الوقت نفسه كان يوهان وريتشارد يحاولان تفكيك المسيح والصليب، ولكن على ما يبدو كان مثبتًا جيدًا، حاوَلا معه كثيرًا فلم يتزحزح. وبعدها ذهبت أورسولا ماري إلى المسيح، ووضعت يدها على أقدامه الممتلئة بالدم، بدت كما لو أنها احترقت! اعترفت ماري أورسولا بعد ذلك بأنه مع أنها لا تؤمن بالهراءات، فقد أفزعها ذلك. وفي الحقيقة كانت الكنيسة فارغة بشكل مخيف، كما لو أنّ المسيح سيُبعث للحياة، وبعد مدة قصيرة دون أن يلمسه أحد منا، انطلق صوت الاحتكاك من المسيح إثر انزلاقه من تلقاء نفسه على أرضية الكنيسة، حيث كُسرت القدم التي لمستها أورسولا ماري، وأصبح ذلك الأكثر رعبًا في حياتها.

حينها شعروا جميعًا بالرغبة في الهروب، ولكن فكرة كون المسيح مُلقًى على الأرض استوقفتهم، ومع ثقل وزنه قد تمكنوا من رفعه وسحبه إلى المركع ووضعه في الجانب الآخر. كان ثقله ليس طبيعيًّا! ومع معارضة كارل لذلك فقد قام بمساعدتهم، ومع أنهم أصبحوا خمسة أشخاص، فقد حملوه بصعوبة إلى الخارج حيث القاطرة. وفي الساعة السابعة والنصف عندما حل الظلام أخرجوا المسيح والصليب إلى قاطرة كارل أخيرًا. توقفوا كثيرًا للاختباء خلف الأشجار والسياج كي لا يراهم المارة. ظل كارل

يردد طوال الطريق إلى تيرينغ والمعمل أنه لا يمكنهم القيام بذلك، أبدت أورسولا ماري التي لا تزال يدها تحمل علامة الحرق موافقتها في البداية، في حين ظلت مايكن تقول: إنها لم ترَ المسيح أو الرب قطُّ عبر التلسكوب، كان كل ما تفعله على ما يبدو تذكير نفسها بذلك.

حتى يوهان الذي لم يكن خجِلاً قط، كان قلِقًا وغاضبًا إلى درجة أنه لم يستطع الوصول إلى المعمل بسرعة، فقط ريتشارد الذي بدا عليه عكس ذلك، على الأقل حتى وصلنا إلى المعمل، واتضح أن الشفرة خاطئة. حينها فقدَ عقله، بدأ يصرخ ويركل الباب والقاطرة، فسقط المسيح وكُسرت قدمه الأخرى. جُنّ كارل وقال: إنّ كسر ساقي المسيح يُعد كفرًا به، وإنهم الآن لن يستطيعوا إعادة المسيح إلى الكنيسة بعد إقناع أنطون بأنه جزء من المعنى. إضافةً إلى أنه لن يستطيع أن يبقى في الكنيسة بعد ما حدث. حينها صرخ يوهان في وجهه ليصمت إذ قال المسيح: «إن جميع المخطئين مغفور لهم إذا كانوا يؤمنون به»، وهذا جعل كارل يصمت بالفعل ويبتسم.

وبعدها استطاعوا فك القفل حين تذكروا الشفرة الصحيحة، ولكن ظهرت مشكلة أخرى، عندما سحبوا المسيح والصليب إلى داخل المعمل، سندريلا أصبحت مسعورة بل أكثر جنونًا، كلبة غبية! ظلت سندريلا تنبح كالمجنونة، وتعَض كل من يحاول حمل المسيح إلى

الكومة. وفي النهاية اضطُروا إلى ترك المسيح في منتصف أرضية المعمل النتنة. كانت مشكلة حقيقية أن ينتهي الأمر بالمسيح والصليب على نشارة خشب، وكان هناك من يعتقد مثل كارل أنه لا يجوز لنا القيام بذلك.

لم تهتم سندريلا سواء بالموافقة أو الرفض حول وضع المسيح في أي مكان بالقرب من الكومة، فلم يكن مهمًّا ما فعلناه. إنه احتيال! كلبة مخادعة! لم تحرك محاولات الإقناع أو الأطعمة فيها ساكنًا، ولم يرد أحد منا أن تصيبه إحدى العضات. وبعد ساعات استسلمنا وذهبنا إلى منازلنا؛ لأنه قد حان وقت العشاء، ولكني تذكرت تلك الليلة التي أخذنا فيها تابوت إميل الصغير، فقلت:

«ربما تعتقد سندريلا أن المسيح هو من أخذ سورنسن بعيدًا عنها!»

فضحك أوتو قائلاً:

«إذًا هذا ما حدث».

فقلت:

«أنا لا أمزح!»

ضحك أوتو بشكل أغضبني قائلاً:

«وأنا جادّ أيضًا».

فقاطعتنا إليز بقولها: إني على حق، وإنه لن نستطيع وضع المسيح والصليب في الكومة ما دامت سندريلا تحرسها، ففكرنا فيما قالته مدة طويلة، ذلك أن المسيح لن يكون له أهمية ما لم يوضع في الكومة. فاقترح الضخم هانز قائلاً:

«حسنًا! سنقوم إذًا بتقطيعه إلى أجزاء».

صرخ كارل مذهولاً:

«لا!»

مع أنّه لا أحد منا قلّل اهتمامه بشأن كارل، قد كان الأمر مقلقًا، وأيضًا لا أحد منا رآها فكرة جيدة؛ لأن المسيح سيكون بلا معنى إذا قمنا بتقطيعه. فاقترح سيباستيان قائلاً:

«نقوم بتلوينه بالأسود حتى لا تعرفه سندريلا».

حينها احتج يوهان قائلاً:

«لا! لن يحمل المعنى المطلوب».

وفي الواقع اتفقنا معه لأن فكرة المسيح الأسود ستعطي معنى آخر! فاقترحت إليز قائلة:

«ماذا لو نضع المسيح في الكومة حين أكون في الخارج مع سندريلا؟»

لم يعترض أحد، وفي الليلة نفسها عدنا إلى المعمل بعد تناول العشاء، وضعت إليز لجام سندريلا وبمجرد خروجهما من المعمل، حمل يوهان

والضخم هانز المسيح إلى الكومة. كان وزنه ثقيلاً جدًّا حتى يوضع في الأعلى، لذلك جعلناه يتكئ باتجاه الكومة. عَلَم الدنمارك كان عاليًا، وقفازات الملاكمة انزلقت ثم اختفت، والأفعى التَوَت بشكل مريب، وأوسكار الصغير قام يصرخ. ولأن المسيح أصبح جزءًا من الكومة بغض النظر عن مشاعر سندريلا، وضعناه بعيدًا عن تابوت إميل الصغير، في الجهة الأخرى من الكومة، ولكن لا أعتقد أنّ ذلك سيشكل فرقًا من ناحية أين يوضع المسيح، وماذا ستفعل سندريلا.

طرقت إليز باب المعمل ثلاث طرقات قصيرة وبعدها ثلاث طرقات طويلة آنذاك، حينها ابتعدنا جميعًا عن الكومة. فتح يوهان الباب، ثم دخلت إليز مع سندريلا تمشي ببطء خلفها، كانت سندريلا تلهث كغلاية، حيث بدت وكأنها ستنهار في أي لحظة. ولكن بمجرد أن أزحنا اللجام عنها، رفعت رأسها وتنفست كالجرو اللطيف. بعدها هرولت بخفة، ورفعت ذيلها إلى الكومة حيث كان المسيح، ثم قعدت القرفصاء وتبولت عليه، فضحكت جيردا قائلة:

«يا إلهي!»

ولم يصدر من البقية أي صوت. كانت عواقب هذا السلوك لا تحصى، فلم يكن باستطاعتنا إعادة تمثال المسيح بعد ما حدث إلى الكنيسة. ومع ذلك بدأ أحدنا تلو الآخر يضحك، فكل ذلك الإذعان كان مضحكًا جدًّا

مع بول سندريلا الذي ملأ كل جانب، والأقدام المكسورة فضلاً على أرضية المعمل. فعلى أية حال لم يكن المسيح بداية جيدة مع تلك الأقدام المكسورة، لذلك استمررنا في الضحك. كان يراودنا شعور جيد، وبعدها ذهبت صوفي لجلب مشغّل الموسيقى الخاص بإليز لنستمع إلى الموسيقى، فأخذنا نغني ونصرخ مستمتعين حتى أدركنا أن الساعة تجاوزت التاسعة ليلاً. أغلقنا الموسيقى، وذهب الجميع إلى منازلهم، فقلت في نفسي: ماذا لو أنّ أحد الكبار قام بالبحث عنا، وسمع كل هذه الضوضاء القادمة من المعمل!

(1)كلمة ناقصة ممكن تكون: فرح

الفصل الخامس عشر

لم نكن نتوقع الكثير من كارل، ولكنه فاجأنا هذه المرة، فقد أراد رأس سندريلا! كان ذلك غريبًا، وخاصة أن سندريلا لم تكن ملكًا لأحد، ولكن من المؤكد أنها تعني الكثير لإليز، مع أنها تخلت عن تابوت ابن أخيها. ومن ناحية أخرى لم يتبقَّ إلاّ يوهان وروزا الجميلة، فلماذا يعني لهما التخلي عن رأس سندريلا أكثر من البقية؟ ولكن أصر كارل، فقال أوتو:

«بربك يا كارل!»

احتج كارل قائلاً:

«رأس سندريلا».

فقالت حينها إليز:

«كن واقعيًّا يا كارل!»

ولكن أصر كارل قائلاً:

«رأس سندريلا».

فقالت مايكن:

«كفاك مزاحًا!»

ولكن استمر كارل قائلاً:

«رأس سندريلا».

استمر بهذا الاحتجاج ولم يستمع إلى ما كان يقوله الجميع، في الحقيقة كنا نعرف السبب، فمنذ أن سُحب المسيح إلى الكومة منذ خمسة أيام، اتخذت سندريلا الصليب دورة مياه خاصة بها، حيث انتهكت قدسية المسيح المكسور القدمين المعلق على الصليب. وخاصة مع جهود سندريلا الصارمة، لم يكن هناك أمل في أن تتركه. أخبرنا كارل أن يختار شيئًا مُهمًّا ليوهان أو روزا الجميلة، فقال:

«حسنًا! إذًا تقوم روزا الجميلة بقطع عنق سندريلا».

أُخذنا على حين غفلة! فروزا الجميلة لا تستطيع أن تتحمل رؤية الدم، فكيف بفصل رأس سندريلا عن جسدها؟! انتهى النقاش، وكانت النتيجة بكاء روزا الجميلة وإليز، فقد بكت وتوسلت الجميلة روزا طلبًا للرحمة بأنها لا تستطيع القيام بذلك؛ لأنها ربما ستخر صريعة، وهذا يجعلنا نحملها إلى المستشفى، ولن تعود طبيعية كما كانت بسببه. أمّا إليز فقد بكت بكاء لم تبكه على ابن أخيها، ولكن لم نُعر أيًّا منهما اهتمامًا، وكان ذلك من أجل أن تستجمع روزا الجميلة نفسها أولاً، فرأس سندريلا تضحية صغيرة مقابل ما ضحى به الآخرون، ولأننا شككنا في إليز في أنها فرحت بحفر تابوت ابن أخيها كما لو أنها لم تخسر شيئًا.

في الحقيقة ضرب كارل عصفورين بحجر واحد! كان والد يوهان جزارًا، وله متجر مقابل منزلهم، وذا صباح بعد محاولات باءت بالفشل، نجح يوهان في التسلل والدخول حتى يجلب سكينًا حادًّا. وأخيرًا أتى إلى المعمل ومعه السكين، ثم غرزه في عمود خشبي، حيث ظل يلمع بانتظار روزا الجميلة أن تستجمع قواها. وقد حدث ذلك عاجلاً عندما ذهبنا إلى المعمل في ظهيرة باردة وعاصفة آخر الخريف، ولم نرَ سوى رأس سندريلا وعينيها وهما تحدقان بامتعاض إلينا من أعلى الكومة، في حين جسدها ممدد على تابوت إميل الصغير، الذي صار أحمر بدلاً من الأبيض؛ لأن الأحمر لون الموت لا اللون الأبيض ولا الوردي.

بدت روزا الجميلة هادئة بشكل غريب في المدرسة يومًا كاملاً. لاحقًا ادعت أنه قد أُغمي عليها تقريبًا، وكان ذلك سيئًا أكثر من كونه مرعبًا، وبعدها أَطفأت أنوار المعمل كي لا ترى الدم. كانت فكرة إطفائها الأنوار جيدة بلا شك؛ لأن رؤية التابوت وهو غارق بالدم ورأس سندريلا دون جسدها جعلت روزا الجميلة تمر دون أن تعطي تلميحًا بأن نتوخى الحذر. حمل هانز الضخم وأوتو جسد سندريلا إلى خلف المعمل، ووضعا بعض الأخشاب لمنع رؤية سندريلا والتابوت؛ لأن فكرة أخذ الجسد إلى الخارج مستحيلة، فربما يراه أحد المارة.

وتفحص يوهان السكين الذي وُضع مرة أخرى في العمود الخشبي كما كان سابقًا، ولكن هذه المرة كان متسخًا وغارقًا بالدم الجاف، فقال يوهان ضاحكًا:

«من كان يتوقع أن هناك جزارًا بداخل روزا الجميلة؟»

لو كان يعلم ما يمكن لروزا الجميلة فعله ما ضحك كثيرًا!

الفصل السادس عشر

كان بالأمر شيء ما، ليس حول قدرة روزا الجميلة على قطع رأس سندريلا دون أن يرف لها جفن، ثم المرور بجانب بركة من الدم على التابوت، حتى لو كانت روزا الجميلة غريبة. فقد اتضح المكر حين طلبت روزا الجميلة سبّابة يوهان اليمنى، كان ذلك في ظهيرة يوم الثلاثاء بعد وصولنا بقليل إلى المعمل. كان المعمل رطبًا جدًّا بشكل مستمر، فضلاً على الأمطار التي وَجدت الطريق إليه من الثقوب الموجودة في السقف، فكوّنت البرك على أرضية المعمل، ولم نستطع إزالتها.

قالت أورسولا ماري: إنّ طلب روزا الجميلة مستحيل، خاصة أن يوهان يعزف على القيثار، ويغني أغاني فرقة البيتلز مثلهم تقريبًا، ولن يستطيع العزف أو الغناء دون إصبعه إذا قام بقطعها، لذلك لا يحق لها المطالبة بها، فقالت روزا الجميلة دون أن تبين السبب:

«بل أستطيع المطالبة بها».

فأجابت أورسولا ماري قائلة:

«لا، لا يحق لكِ ذلك».

وقف الجميع بصف أورسولا ماري؛ لأنه كان هناك حدود، ولكن أصرت روزا الجميلة قائلة:

«بل أستطيع».

فهتفنا جميعًا:

«بل لا تستطيعين».

وبعد وقت طويل، بدت روزا الجميلة وكأنها خارت قواها، وقُوبل اعتراضنا بصمت، اعتقدنا أننا فزنا حتى قالت صوفي:

«ماذا؟ وكأن إصبع يوهان لا تهم!»

لم نستطع حينها معارضتها، ولكن الإصبع ليست شيئًا يمكن منحه بسهولة! غير أن صوفي أصرت على رأيها لأنها لا ترى هناك معنى لأي نقاش قائلة:

«كل شخص حصل على ما يريد، لذلك إن أرادت روزا الجميلة إصبع يوهان، فلها ذلك».

وفي نهاية المطاف اتفق الجميع، ما دام لا أحد منا سيقوم بقطع إصبع يوهان على أي حال، ولكن قالت صوفي بجمود واضح:

«أنا سأقوم بذلك».

حينها حدّقنا إليها بصمت! فهناك شيء ما بصوفي بالفعل منذ ما حدث لها، ما دامت بهذا الجمود، فقد أصبحت باردة جدًّا، بل أكثر من ذلك، كقطعة من الجليد. وفجأة تذكرت أن يوهان كان هناك في المعمل تلك الليلة مع صوفي، ولكن لم أستطع تخيل أنه استخدم إصبعه حيال ما

حدث لها، غير أني كنت أعلم مَن قطعَ رأس سندريلا، فصوفي كانت ماكرة. لم أخبر أحدًا بما كنت أفكر به؛ لأنني لم أكن متحققة من أمر الإصبع التي جعلت صوفي على هذه الحالة أولاً، ولأني لم أعد أشعر بالراحة حين أفكر بما يمكن لصوفي القيام به ثانيًا. ثم إني لم أكن الوحيدة التي تشعر بالراحة حيال فكرة أن كومة المعنى انتهت تقريبًا.

وفي الحقيقة كان يوهان مهتمًّا بذلك كالجميع، سواء ببداية الكومة أو نهايتها. كان من المستحيل أن يتخلى يوهان عن إصبعه، ولو لم يكن آخرنا لعفونا عنه، فمن يعرف ما الذي سيأتي لاحقًا، أو ربما لا يعدّ ذلك صحيحًا، فمن المرجح أن الحقيقة هي لو لم يكن قائد الصف الذي بيده اتخاذ القرارات والعزف على القيثارة، إضافة إلى غناء أغاني فرقة البيتلز عندما يريد ذلك، لعفونا عنه، ولكن كما نعلم لن يكون هناك مخرج، فمتى سنقوم بذلك؟! ظهيرة يوم السبت ستقطع صوفي أولاً إصبع يوهان، ثم نضع ضمادة مؤقتة، وبعدها سيحمل كارل يوهان بقاطرته إلى غرفة الطوارئ في منزل والديه، حيث يكون إسعافه بشكل صحيح، وفي يوم الأحد سنستدعي أنطون.

الفصل السابع عشر

في السادس عشر، ظهيرة يوم الجمعة، قمنا بترتيب المعمل، وكان حينها لم يتبقَّ إلا أيام قليلة على رأس السنة، ولكن لم نُعره اهتمامًا؛ لأن لدينا ما هو أهم. ظَلِلنا نذهب إلى المعمل أكثر من أربعة أشهر، كان مغطًّى بالأوساخ بسبب أقدامنا وأوراق الحلوى وغيرها من القمامة، إضافة إلى أنها كانت منتشرة بشكل متساوٍ في الزوايا، وشكلت تِلالاً بين ألواح الخشب التي ألقيناها حتى نتمكن من لعب لعبة المطاردة أو الجلوس. ولكن لم تقِلّ حركة العناكب في حضورنا، فقد بدا الأمر وكأننا نجذبها لوجود بيوتها في كل زاوية وركن، في حين أصبحت النوافذ السليمة أكثر اتساخًا من قبل.

وبعد نقاش حول من سيقوم بذلك، شق كل منا طريقه، قام كارل وفريدريك بالتقاط أوراق الحلوى في حين نقل سيباستيان وأوتو وهانز الضخم الأخشاب إلى خلف المعمل. وكانت كل من جيردا ومايكن وإليز يُزِلْنَ بيوت العناكب، وقامت الآنسة ويليام وآنا لي ولورا والمتملق هنريك بغسل أوساخ النوافذ بقدر المستطاع، وقد تحقق دينيس من زجاج النوافذ المكسورة كي لا تكون هناك أي شظايا تفسد المنظر. وكان دوري أنا

وأورسولا ماري تنظيف نشارة الخشب بعناية، وذلك باستخدام مجرفة استعرناها من صوفي.

وبعد أن انتهى الجميع من المهمة، بدا المعمل مرتبًا، مع أنه قد بقي شيء واحد لم نستطع فعل أي شيء تجاهه، وهو أن رائحة الكومة بدت سيئة قليلاً، كريهة تمامًا. وجزء من هذه الرائحة كان بسبب بول سندريلا عليها وعلى المسيح، إضافة إلى الذباب المتجمهر حول رأس وجسد سندريلا، وأيضًا رائحة أخرى كريهة للغاية انبعثت من تابوت إميل الصغير. وهذا قد جعلني أتذكر ما ذكره أنطون قبل عدة أيام حين قال:

«الرائحة السيئة جيدة مثل الرائحة الذكية».

وبدلاً من إلقاء ثمار الخوخ علينا، أخذ يضرب الغصن الذي يتكئ عليه بباطن يده وهو يردد كلماته قائلاً:

«كل ما تفعله الروائح هو التحلل، ولكن عندما يبدأ شيء ما يتحلل، فهذا يعني أنه سيتحول إلى شيء جديد. والشيء الجديد تبدو رائحته جيدة، لذلك ليس هناك فرق سواء كانت الرائحة سيئة أم جيدة. فكل شيء عبارة عن جزء من دورة الحياة».

لم أجبه أنا ولا أورسولا ماري ولا مايكن حين كنا نمشي معًا. فقط حنينا رؤوسنا وهرولنا بسرعة إلى المدرسة دون أن نذكر ما قاله في ذلك اليوم. أما الآن فها أنا أقف في المعمل أسُدّ أنفي حين أدركت أن أنطون كان

على الحق، وهو أن الرائحة الجيدة ستنقلب إلى رائحة سيئة، والرائحة السيئة كانت في الأصل في طريقها لتصبح رائحة جيدة، ولكن ما أُفضله حقًّا هو الأشياء ذات الروائح الجيدة بدل السيئة. الذي لا أعرفه حقًّا هو كيف أشرح ذلك لأنطون، كان قد آن الأوان عندما انتهينا من الكومة، مع أنه لم يكن ممتعًا أيضًا، وخاصة ليوهان، ظل ينتحب طوال يوم الجمعة حين كنا نقوم بالتنظيف. صرخ أوتو بأن يصمت، ولكن لم يصمت، بل أجاب قائلاً:

«سأشي بكم».

حينها هدأ الجميع، فقالت صوفي ببرود:

«لن تشي بنا».

ولكن يوهان كان عكسها تمامًا حيث ظل يردد كأغنية:

«سأشي بكم، سأشي بكم، سأشي بكم».

كان يوهان سيَشِي بنا في القصة التي اختلقناها بشأن إخبار والديه عن إصبعه بأنه كذب، أي إنه ليس صحيحًا أن سكين والده المفقود قطع إصبعه عندما أراد إخراجه من العمود الخشبي. كان نحيبه أقوى من أن يتحمله أحد، لذلك صرخ أوتو مرة ثانية على أمل أن يصمت، وإلاّ فسيُضرب، ولكن لم يستمع له، فأُجبر أوتو حينها على ضربه، ولكن أدى ذلك إلى صراخ أعلى، فقام ريتشارد ودينيس، واستوقفا أوتو، وقالاً إنه

طفح الكيل. بعد ذلك أرسلنا يوهان إلى المنزل، وأخبرناه بأن يأتي في اليوم التالي عند الساعة الواحدة تمامًا. وبينما هو في طريقه صرخ أوتو خلفه:

«إن لم تأتِ فسوف نقوم بضربك!»

فقالت صوفي وهي تومئ برأسها:

«إن لم تأتِ فسنقطع اليد كلها».

حينها نظر بعضنا إلى بعض، لم يشكَّ أحد منا في صدق ما قالته حتى يوهان، لذلك حنى رأسه، وهرول إلى منزله بعيدًا عن المعمل بأسرع ما يمكن. وفي يوم السبت قبل الساعة الواحدة بعشر دقائق، أتى يوهان يمشي ببطء مريب نحو المعمل، رأيت ذلك لأنني أنا وأوتو كنا نقف عند نهاية الطريق بانتظاره، ونرتجف من شدة برودة الرياح، حيث خبأنا أيدينا في جيوبنا، فقد كنا مستعدِّين للذهاب إن لم يأتِ من تلقاء نفسه. وحين رآنا بدأ ينتحب، تذكرت وقتها صمت صوفي المطبق وما حدث لها، فطلبت من يوهان أن يصمت ويستجمع قواه، كان يوهان كطفل كثير البكاء وجبان! وزاد الحال حين دخلنا إلى المعمل، ورأى السكين قد انتُزع من الخشب، ووُضع على المقصلة حيث ستُبتر الإصبع. كانت الآنسة ويليام هي التي أخبرتنا بتنبؤ رائع حول ما سيحدث، حاول يوهان أن يبدو غير مكترث فلم يستطع، فقد ظل يصرخ بطريقة مضحكة وبأعلى

صوته، حتى إنه أصبح من المستحيل فهم ما كان يقول، ولكن فهمنا كلمة واحدة حين كان يصرخ قائلاً:

«أمي، أمي!»

رمى يوهان بنفسه على الأرض، ووضع يديه بين ساقيه، مع أننا لم نبدأ بعد. كان الأمر مثيرًا للشفقة، بل أسوأ من ذلك بالنسبة لهذا الطفل الباكي الجبان؛ لأنه كان قائد الصف ويعزف على القيثارة، ويغني أغاني البيتلز، وفجأة انقلب إلى طفل يبكي ويصرخ ويركل. عندما لاحظنا هذا التحول لم نُعره انتباهًا، وفكرت حينها في أن صوفي قد رأت الشخصية الأخرى منه في تلك الليلة باستثناء كونه فوقها. عندها اقشعرّ بدني حين أدركت كيف للشخص الواحد أن تتعدد فيه الشخصيات، القوي والضعيف، الشجاع والجبان، الشريف والدنيء. لم يفهم أحد ما يحدث حقًّا، وفجأة أعلنت صوفي قائلة:

«إنها الساعة الواحدة».

قطعت حبل أفكاري، ولكن ربما كنت كذلك لأني لم أعُد أشعر إلى أين نتجه. بدأ يوهان ينوح ويتدحرج على الأرض، دون أن يراعي الساعات التي قضيناها أنا وأورسولا ماري في تنظيفها، فأضافت صوفي قائلة:

«إليز، فريدريك، روزا، اذهبوا إلى الخارج للمراقبة خشية أن يقترب أحد ما من المعمل فيسمع شيئًا».

ذهب الثلاثة إلى الخارج، وأغلقوا الباب من خلفهم، ثم توجهت صوفي إلى هانز الضخم وأوتو قائلة:

«والآن حان دوركما».

قفز يوهان ورمى بيديه إلى الوراء، حيث اتضح أن على هانز الضخم وأوتو أن يعملا بجد، وكان على كارل وريتشارد أن يساعداهما ليسحباه، وكان يضرب كل من يقترب منه حينها، فقال ريتشارد فجأة:

«لقد تبوّل على نفسه!»

كان على حق، فضحكت جيردا في حين ظل الجميع يشاهدونه على أرضية المعمل باشمئزاز. كان يوهان لا يزال يتقلب ويتلوى كلما سحبوه إلى المقصلة، حينها تحتم على هانز الضخم أن يجلس على بطنه، ونجحت تلك الخطوة، لكن قبضة يد يوهان لم تزل مشدودة، حيث كان يرفض أن يفتح يده مع العروض المادية التي عرضها هانز الضخم وأوتو، فقالت صوفي بهدوء:

«إن لم تضع إصبعك على المقصلة، فسوف نبتر أي جزء منك».

كان هناك شيء غريب في هدوئها! وكان هناك أيضًا شيء ما يتآكل بداخلنا، ولكن ما كان يحدث هو تضحية ضرورية لكفاحنا من أجل المعنى، فقد كان يجب على كل منا أن يفعل ذلك، ونحن قد انتهى دورنا والآن حان دور يوهان، وفي الحقيقة لم يكن بذلك السوء. عندما ارتفع

نواح يوهان مرة أخرى، رفع حسين يده التي للتو أزيلت منها الجبيرة، وقال:

«لا يوجد ما تخافه، فهي مجرد إصبع».

وأكمل هانز الضخم وهو يجلس على بطن يوهان ويحاول أن يفك قبضته اليمنى قائلاً:

«صحيح فهي لن تقتلك».

وأضافت آنا لي بهدوء قائلة:

«وإن لم تؤلمك فليس هناك معنى».

بتر السكين إصبع يوهان بعمق وبطريقة فجائية جعلتني أشهق، رفعت نظري إلى كعبي الأخضر، فتنفست الصعداء بعدها. كان كل شيء هادئًا لحظة، ثم أتت صرخة يوهان العالية، لم أكن قد سمعت أحدًا يصرخ هكذا من قبل، أغلقت أذنيّ، ولكن ما زلت أسمع صراخه، حيث كان يجب على صوفي أن تمرر السكين أربع مرات، في حين كان يوهان يضرب الأرض بشدة، ولكن كان على صوفي التنظيف، لذلك كان عليها أن تنهي مهمتها.

في المرة الثالثة والرابعة شاهدت ما كان يحدث، وفي الحقيقة كان مدهشًا قليلاً أن ترى كيف تتحول الإصبع إلى خيوط وقطعة من العظام. وفجأة تحول كل شيء إلى دم، الكثير من الدم، كان من الجيد إرسال

روزا إلى الخارجِ. استغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى انتهى، ثم خرجت صوفي وهي تمسح السكين بحفنة من نشارة الخشب، وبعدها غرزت السكين في العمود الخشبي كما كان سابقًا، ومسحت يديها في بنطالها الجينز وهي تقول:

«انتهى».

وعادت إلى الداخل لتفقُّد الإصبع في حين قدمت الآنسة ويليام ضمادة مؤقتة ليد يوهان، وجلب كارل قاطرته أمام المعمل، وحمل هانز الضخم يوهان إليها عندما انهارت ساقاه. كان يوهان يجهش بالبكاء حتى إنه كان يتنفس بصعوبة، وكانت هناك بقعة كبيرة ذات رائحة نتنة وبنية اللون على بنطاله، وقال أوتو كي يرفع من معنوياته:

«تذكر أنه دورك كي تقرر ما سيأتي».

مع أنه لم يتبق أحد ليكون التالي، إلاّ إن كان يفكر في أنطون. ضغط كارل على الدواسات، ومضى بالقاطرة بعيدًا وبسرعة مع نشيج يوهان.

الفصل الثامن عشر

لا أعلم ما يمكن أن يحصل لو لم يشِ يوهان بنا، فما حصل هو أن الشرطة حاصرت المعمل قبل أن نحصل على فرصة لإخراج أنطون. كنا جميعًا هناك حينما أتَوا وحاصروا المكان، فكتبوا إلى آبائنا فقد كنا عشرين طالبًا من الصف السابع أنهم وجدوا كومة ذات رائحة نتنة، وتتكون من أشياء غريبة ومخيفة، حيث تحتوي على رأس كلب مقطوعٍ، وتابوت طفل، وربما يوجد طفل بداخله (للتوضيح: لم يُفتح التابوت بعدُ)، وأيضًا سبابة ممتلئة بالدم، وانتهاك قدسية المسيح، وعَلم الدنمارك، وأفعى بداخل برطمان، وسجادة صلاة، وزوجٍ من العكازات، ودراجة نيون صفراء... إلى آخره.

رأينا كلمة (إلى آخره) إهانة لنا، كأنهم يحولون المعنى، ويقللونه إلى هذه الكلمة. والكثير من الأشياء التي ليس هناك حاجة إلى ذكرها بالاسم، على الأقل ليس في تلك اللحظة. لم يمنحونا فرصة للاعتراض، ما كل هذه الضجة؟

لم يرَ أحد أي سبب لأخذ ما حدث بعين الاعتبار، وكان قد تبقت ثمانية أيام على رأس السنة. بعضنا حُبس، والبعض الآخر ضُرب، وقد أرسل حسين إلى المستشفى حيث يرقد يوهان، كانا محظوظينِ حيث وُضعا في

غرفة واحدة، وكل ما استطعت القيام به هو الذهاب والتمدد على السرير ومشاهدة ورق الحائط المخطط. وذلك عندما أخذتني الشرطة إلى المنزل، وأعطوا والدتي المكتوب. كان ذلك في ظهيرة يوم السبت، وبعدها لم يُسمح لي بالذهاب إلى المدرسة إلا يوم الاثنين، وبالطبع مع تعليمات صارمة بالعودة إلى المنزل مباشرة.

في الحقيقة كانت تلك هي البداية، حيث بدأ كل منا ينوح، كنا متشبثين بموقفنا، أو بالأصح كنا كذلك تقريبًا. البعض منا بدأ يبكي ويعتذر، أما المتملق هنريك فقال في نشيج: إننا المُلامون؛ لأنه لم يُرِد أن يكون جزءًا من ذلك، وتحديدًا فيما يخص الأفعى والبرطمان، في حين أجهش كارل بالبكاء قائلاً:

«سامحني، سامحني!».

شعرنا جميعًا بالأسف حتى قام أوتو بقرص فخذه بقوة وبشكل مفاجئ، ثم بدأ فريدريك ينشج قائلاً:

«آسف! لن أفعلها مرة أخرى!».

وبعدها عاد بظهره إلى الخلف بمقعده على نحو مستقيم وكأنه يود لفت الانتباه، إلى أن غرزت مايكن أحد طرفي الفرجار الحادين فيه. بدت صوفي جاحدة بشكل محتقر وهادئة تمامًا، وعندما انتهى السيد

إسكيلدسن من توبيخنا بالصراخ فينا مدة ثلاث وثمانين دقيقة، ضرب طاولته بقبضة يده، وطلب معرفة الفائدة من هذا كله.

«لأجل المعنى ما دام لم يعلمنا أحد إياه، قررنا البحث عنه بأنفسنا».

كانت صوفي هي من أجاب عن سؤاله، وهي تومئ برأسها، وبعدها أُرسلت إلى مدير المدرسة مباشرة، تقول الشائعات: إنها ذكرت ما قالته تمامًا للمدير حتى دون أن يحتجزها أو يوبخها، هكذا انتشر الخبر في كل أنحاء المدرسة. وعندما عادت إلى الصف، كان ثَم بريق في عينيها، تفحصتها وقتًا طويلاً، وتحديدًا الجزء المحمر بشكل خفيف في أعلى خديها عند حافة حد الشعر.

كان وجهها شاحبًا وجامدًا ربما بسبب الجو البارد، ولكن كان هناك سبب آخر مثل النار، كنت لا أعلم ما هو بالتحديد، ولكن كانت تلك النار شيئًا يعود إلى المعنى. لن أنسى ذلك مهما حدث، حتى إن كانت تلك النار شيئًا لا يضاف إلى الكومة، وإنني سأقوم بشرح ذلك بأي طريقة لأنطون. في وقت العطلة تجمعنا لمناقشة ما سنقوم به، كان الجو شديد البرودة إلى درجة أنه لم يعد هناك أي فائدة من قفازاتنا وقبعاتنا، وكان مدرج المدرسة مغطًّى بطبقة رقيقة من الثلج، حيث جعل أحذيتنا رطبة وأقدامنا سيئة، ولكن لم يكن لدينا خيار، فقضاء العطلة بالخارج كان جزءًا من العقاب.

البعض منا رأى أنه من الأفضل أن نخبر الجميع بالقصة كلها حتى يتضح أنه خطأ أنطون، وهو من أودى بنا إلى ما نحن عليه الآن، فقال فريدريك بكل أمل:

«ومن ثم سيسمحون لي برفع العلم مرة أخرى!».

وأضاف كارل:

«وأنا أيضًا سيسمحون لي بالذهاب إلى الكنيسة!»

«وربما هذا هو الحل الأفضل!».

قالها سيباستيان كما لو أنه يريد أن ينهي هذا كله، فهتفت آنا لي بشكل فاجأ الجميع:

«لا! إن قمنا بذلك فليس لأي من هذا كله أدنى أهمية».

حينها أضافت جيردا بغضب:

«ولن يعيد شيئًا ما كأوسكار الصغير، أليس كذلك؟»

لقد كانت محقة؛ فأوسكار الصغير استسلم منذ الليلة الأولى من البرودة في الثالث من ديسمبر. حينها تنهدت إليز قائلة:

«يا لسندريلا المسكينة!»

حيث كان موتها دون جدوى. لم أقل شيئًا، وكنا آنذاك في منتصف الشتاء، ولم يكن هناك فائدة من لُبس الكعب الأخضر في ذلك الوقت.

كنا إلى حد ما معًا في حين كان هناك دعم قوي لصوفي عندما دخلت في عراك أمام حذاء كارل الزرقاء، وهمست قائلة:

«أيها الجبناء! هل ستستسلمون بسهولة؟!».

حك فريدريك وكارل أحذيتهما في المدرج بخجل في حين انكمش سيباستيان على نفسه، فقال فريدريك في حذر:

«ذلك لأننا في مأزق كبير، لذلك ليس علينا أن نكمل فقط لأننا قمنا به!»

فأجابت صوفي وهي تحدق إلى عينيه حتى أومأ برأسه قائلة:

«أليس الذي في المعمل هو المعنى الذي سعينا من أجله؟ فإن سلمناه كل ما لدينا فسيكون لا شيء. اتفقنا؟»

قالتها وهي تنظر إلى الجميع حيث بدت أكثر حرارة من قبل، ثم أضافت:

«أليس المعنى أكثر أهمية من أي شيء آخر؟»

فأجاب أوتو:

« بلى».

استغل الفرصة بجعل فريدريك كأنه صعب المراس إلى درجة إحراجه. أومأ البقية برؤوسهم يتمتمون بالموافقة، لأنه بالتأكيد كان مُهمًّا ولا جدال فيه. لذلك فليكن ما يكون، وأكملت صوفي حديثها قائلة:

«ولكن هناك مشكلة، ألا وهي كيف نُري أنطون كومة المعنى؟»

لم تكن هناك حاجة إلى أن تقول ما تفكر به، فقد طوقت الشرطة المعمل والكومة لحماية الأدلة. كنا محتجزين والجرس قد دق، لذلك لم نستطع مناقشة الأمور حتى العطلة القادمة. كانت صوفي هي من أتت بحل لجزء من المشكلة حيث قالت:

«إن كنا محظوظينَ قليلاً، فسنستطيع المرور بجانب الشريط، حيث سنجد هناك منورًا بجانب المبنى الذي يقابله بعيدًا عن الطريق والمدخل. لن يكون هناك تجمع للشرطة؛ لذلك بإمكاننا جلب سلّم والدخول إلى هناك».

أن تبقى محتجزًا هذا أصعب عقاب، فالقليل منا شعروا بأنهم يميلون إلى تحدي غضب آبائهم في الوقت الراهن. فاقترح ريتشارد قائلاً:

«يمكننا أن نطلب من أنطون أن يذهب ليُلقي نظرة على المعمل».

فأجابت مايكن:

«لن يفعل ذلك؛ لأنه سيظن أننا نخدعه».

أتتني فكرة فقلت:

«ماذا لو أن صحيفة تيرينغ التي تُنشر كل ثلاثاء تكتب قصتنا وقصة كومة المعنى؟ حينها سيتحقق أنها ليست خدعة، وسيذهب بنفسه إلى المعمل».

فقال أوتو ساخرًا:

«وكيف سنجعلهم يكتبون قصتنا، والشرطة تُبقي هذا الأمر سِرًّا بسبب أسمائنا وأعمارنا؟!»

فقلت وأنا أضحك:

«نتصل بالصحيفة بأنفسنا، ونتظاهر بأننا من سكان البلدة الغاضبين من انتهاك قدسية المسيح، ... إلى آخره».

فصرخت جيردا قائلة:

«فقط لا تقولي (إلى آخره) وأنتِ تتحدثين إليهم».

لأنها تفكر بلا شك بأوسكار الصغير المتجمد في قفصه على كومة المعنى، ثم أضافت:

«أنا سأتصل بهم، من سيأتي معي؟»

نظر بعضنا إلى بعض، وانتهوا بنظراتهم إليّ، ذلك نتيجة عدم إبقاء فمك مغلقًا؛ لذلك اصمت ولا تقل شيئًا، وإن أمكنك بلع لسانك فافعل. في ظهيرة ذلك اليوم لم تتح الفرصة لأكون في المنزل وحدي ولو لحظة، واستمر ذلك حتى في اليوم التالي، أما اليوم الثالث فقد كان مناسبًا؛ لأن أمي كانت في مباراة لكرة القدم، حيث ذهبت إلى المتجر ثم سلكت طريقًا خاصًّا. اتجهتُ بعدها إلى المطبخ مباشرة حيث الهاتف، واتصلت، حينها أجابني صوت أنثوي حاد:

«صحيفة يوم الثلاثاء، تفضل!».

فأجبت:

«أود محادثة المحرر من فضلك».

لم أكن أعرف مَن عليّ أن أطلب! فوضعت القميص على المتلقي، ولكن لم يكن كافيًا، حينها سألت المتحدثة بفضول:

«من أقول له؟»

«هيدا هولد هانسن».

كان الاسم الوحيد الذي خطر لي بسرعة، وندمت على الفور؛ لأنه من المفترض أن ألعب دور مجهول الهُوية، ولكن ما دام كان ذلك اسم زوجة القسيس، فلم أهتم؟ على الأقل استطعت الوصول إلى المحرر.

«سوبرغ يتحدث، تفضل!».

كان صوته رنانًا ومريحًا ولطيفًا مثل جدي، لذلك أصبح الأمر سهلاً.

«هيدا هولد هانسن تتحدث، أود أن تكتب عن أمر في غاية الخطورة؛ لأني أشعر بأن هذه المسألة لن توافق عليها إلاّ صحيفة الثلاثاء».

توقفت بعدها حتى أتنفس، كنت أتنفس بصعوبة وكأن شيئًا ما يقلقني. فأكملت حديثي قائلة:

«أنا واثقة أنك سمعت عن بعض الأحداث المرعبة التي حصلت في الكنيسة، فقد كان هناك تخريب، وهو سرقة اثنين من شواهد القبور، إضافة إلى المسيح والصليب، حيث حصل ذلك في يوم الأحد».

توقفت بعدها لأخذ نفس عميق، وبصوت مرتفع أكملت وقلت:

«وأنا واثقة أنكم لا تعرفون أن هذه الكنوز الوطنية قد استُردت الآن، مع تابوت طفل صغير وأكثر من ذلك أي مع محتوياته، مع أفعى في برطمان ودراجة نيون صفراء اللون».

لم أستطع إكمال حديثي، فخفضت صوتي حتى يتسنى لي ذلك.

«ورأس كلب مقطوعِ، وهامستر ميت، وسبابة ملطخة بالدم، وزوج من الكعب الأخضر، والكثير».

لم أستطع أن أمنع نفسي من عدم ذكر الكعب العالي، حتى إنها لا تعد فكرة جيدة. ولكن من حسن الحظ أن المحرر لم يُعر انتباهًا لذلك، وقال:

«كم هذا مروّع!»

فأجبت:

«ألا تُعدّ صدمة بالفعل؟ وقيل: إن كل ذلك في معمل مهجور، حيث جَمَع تلك الأشياء كما ندعوها مجموعة من الأطفال، سعيًا لإيجاد المعنى، وبالفعل كان هناك بعض من المعنى في تلك الكومة».

وأخذت نفَسًا عميقًا مرة أخرى مع صفير، وظل المحرر يردد وجهة نظره حول الموضوعِ بأنه أمر مروع، ولكن مع الأسف لا يوجد من يكتب هذه القصة بسبب رأس السنة. وقبل أن تُختم المحادثة، أكد المحرر أن ذلك المعمل المهجور الذي أشارت إليه هيدا هولد هانسن، هو الذي يقع في ضاحية بلدة تيرينغ ماركفيج.

أعتقد أنه يظن أنها حكاية مختلقة، ولكن أتمنى أن تكون قد زرعت فيه بعض الفضول الكافي حتى يكلف صحفيًّا بمتابعتها. حتى نكون في أمان، اتصلت بصوفي؛ لأنه من الأفضل أن تراقب أي شخص يقدم إلى المعمل.

كانت هناك حفلة رأس السنة في المدرسة، وبالطبع كنا ممنوعين من الحضور، وبعدها أتى اليوم الذي قبل ليلة الميلاد، حيث بدأت قلوب والدينا تلين أخيرًا، ثم أتى عيد رأس السنة، حيث تأكد لنا بسعادة أننا سنحصل على العديد من الهدايا كإخواننا وأخواتنا المنضبطين، عدد كبير منها مثل السنين الماضية. كان عيد الميلاد قبل رأس السنة الجديدة، عندما نشرت صحيفة الثلاثاء قصة حول مجموعة من الشياطين وجدوا لهم مكانًا في تيرينغ. وبالطبع كان المقصود بالشياطين نحن، والصفحة الثالثة اشتملت على وصف عميق لكومة المعنى، في حين لم تُذكر أسماؤنا بالتحديد لأنه مُنع نشرها للعلن. فقط قيل: إننا نَشتبه في تورط أحد الصفوف العليا في مدرسة تيرينغ في هذا الأمر.

كنا فخورين بأنفسنا، مع أن أنطون لم يرَ الكومة بعد، وعندما عدنا إلى الدراسة في الرابع من يناير، تباهينا في أرجاء المدرسة بدفع أنفسنا وكأننا من المتفوقين؛ حتى يشعر طلاب الصف السابع الآخرون والصفوف الدنيا بأنهم لا يعلمون ما نعلمه نحن. العديد منهم ضغطوا علينا كي نعترف، ولكن كل ما استطعنا قوله هو أننا وجدنا المعنى. وكان ذلك من تعليمات صوفي بالطبع، وهو أن نذكر كلمة «معنى» فقط.

«لقد وجدنا المعنى».

قمنا بترديد هذه العبارة لكل من يسأل لماذا قمنا بذلك، لمعلمينا، ولوالدينا، وللشرطة، وللجميع، وأيضًا للصحيفة الكبرى عندما أتى الصحافيون.

مكتبة Telegram @t_pdf

الفصل التاسع عشر

أتت الصحف المحلية ومن بعدها الصحف اليومية الشعبية، ثم أتت الصحافة من العاصمة ومن جميع المناطق، وأخيرًا مذياع النشرات الأسبوعية والتلفاز المحلي. ولكن انقسموا؛ البعض وقف بصف صحيفة يوم الثلاثاء، حيث رأوا أننا مجرد مجموعة من الغوغائيين الذين يجب إدخالهم المدرسة الإصلاحية، أي الأمر خارج عن السيطرة، أما رأي البعض الآخر فقد أذهلنا! فقد أرجعوا ما حدث إلى الفنّ والبحث عن المعنى، في حين مال آخرون إلى الرأي الأول.

لم يأخذ النقاش الذي يحدد مَن مع، ومن ضد، الكثير من الوقت، وكان النقاش يتمحور حول مع أو ضد، كنا مذهولين من مدى غضب الطرفين الذي لمسناه في حديثهم. في الحقيقة أن جميع الناس الذين أتَوا من أرجاء البلاد وتحديدًا من العاصمة مع عدم إظهار أي اهتمام بتيرينغ وضواحيها، فجأة وصلوا إلى هنا جماعات! هناك شيء واحد كنا متحققين منه، وهو أن كل هذا الغضب والحديث من كلا الطرفين جعل من الكومة أكثر معنى. ولكن الأكثر أهمية هو أنه مع كل هذه التغطية الصحفية ونقاد الفن، والعبء الكبير من كبار السن، إضافةً إلى عدد قليل من العامة، اضطُرّت الشرطة إلى فتح المعمل والسماح لهم بالدخول في أوقات معينة

من الظهيرة حتى الرابعة، وأصبح لا يوجد ما يمنع أنطون من المجيء لرؤية كومة المعنى، ولكن نسينا أن نراهن على عدم مجيئه.

«لا شيء يهم، ولا شيء يستحق الاهتمام، حتى كومة النفايات الخاصة بكم».

هذا كل ما قاله، اكتفى بهذه الكلمات، وأنه مَهما فعلنا فلا يهم دون تفكير. كانت الإجابة واحدة سواء حاولنا إقناعه أو تهديده، كان ذلك خيبة أمل كبيرة للجميع إلى درجة أن ذلك حطّم قلوبنا؛ لأنه جعل أوسكار الصغير، والعذرية، وسندريلا، وسبابة يوهان، وإميل الصغير، وعَلم الدنمارك، وضفائر أورسولا الزرقاء، وكل شيء في الكومة دون معنى. حتى عند رؤية الكثير من الناس أن الكومة تحمل معنى بالفعل، لم يقتنع، وحتى عندما علم أننا لم نعد نخشى أحدًا، سواء والدينا أو معلمينا أو الشرطة، حاولنا كثيرًا ولكن لم ننجح.

في يوم من الأيام كنا قد شكلنا مجموعات بالصف، باستثناء كارل الذي عوقب بالعمل التطوعي في الكنيسة، حيث احتُجز مدة أطول منا وهي أربعة أسابيع. فلم يكن هناك شيء نستطيع القيام به لأجله، حتى الصحافة السويدية التي أتت إلى تيرينغ والنرويجية والإسكندنافية، وأيضًا معظم الصحافة الأوروبية والأمريكية حيث بدا الأمر وكأن الصحافة العالمية كلها أتت إلى تيرينغ، وجميعهم أطلقوا علينا شيئًا ما. بغض النظر عما قاله

أنطون، كان الأمر مثيرًا عندما نشرت صحيفة يوم الثلاثاء قصة عنا، وكان مدهشًا حين أتت الصحف اليومية المحلية، وبدأ النزاع حول كومة المعنى، ولكن كان نوعًا أبعد من الاعتقاد وذا معنى عميق، عندما بدأت الصحافة تأتي إلى تيرينغ من أرجاء المعمورة، فعادة ما تكون تيرينغ هادئة وبطيئة جدًّا في شهر يناير، أمّا يناير هذه السنة فقد مضى سريعًا. حينها أتى شهر فبراير، ومنه إلى مهرجان أيام المرافع.

وما إن وصلنا إلى اليوم الأول من مارس حتى عدنا إلى يناير من جديد، كنا قد صُوِّرنا من كافة النواحي، من أمام، ومن خلف، ومن فوق، ومن تحت. كان المصورون يتعقبوننا لالتقاط أفضل ابتسامة، أو مَن يقطب بين حاجبيه، أو صاحب أفضل حديث لبق. انهلّ علينا المصورون على أبوابنا، وأصبحت الأجراس لا تتوقف، وأخذت محطات التلفاز القادمة من جميع البلدان تضبط وضع كاميراتها خارج مدرسة تيرينغ، وتُصوّرنا عند وصولنا للمدرسة وعند الخروج. حتى إن يوهان كان يسعد عندما يكشف عن ضمادته لهم حتى يروها، حتى توثّق السبابة المقطوعة هنا وهناك.

ولكن قبل كل شيء كان المصورون والصحافيون قد اقتحموا المعمل؛ كي يأخذوا حصتهم من هذه الظاهرة. وما هي إلا مدة قصيرة حتى اكتسبت الكومة شهرة أذهلت الجميع باستثناء أنطون.

الفصل العشرون

صرخ أنطون قائلاً:

«رأيت كل شيء من قبل».

وهو يُخرج هواء أبيض باردًا من فمه مرتديًا قناع البالاكلافا ذا اللون الأزرق الداكن.

وأضاف:

«هي مجرد أخبار في الوقت الحالي، والعالم كله يشاهد تيرينغ، وخلال شهر ستُنسى تيرينغ، وتتجه أنظار العالم إلى مكان آخر».

وبصق على الرصيف، ولكن لم يصل إلى أي شخص سواء بالبصاق أو بالكلمات التي قالها، فصرخ يوهان من خلفه بغطرسة:

«اخرس! أنت فقط غيور!».

فهتف الجميع بصوت النصر:

«غيور! غيور!»

كنا مشهورين؛ لذلك لم يكن هناك شيء بإمكانه إحباطنا حينها، نعم لا شيء بإمكانه إحباطنا لأننا مشهورون. كان ذلك في اليوم التالي بعد أن نشرت عنا الصحيفة البريطانية، ولم نعُد نهتم على أي حال بكون أنطون جزءًا من المعنى والشهرة أم لا. وأيضًا بكونه يرغب في الذهاب إلى

المعمل ورؤية كومة المعنى أم لا، لم ولن نهتم، حتى إننا لم نهتم بشأن من وقفوا ضدنا وضد المعنى الذي يتجلى في هذه الكومة، سواء من تيرينغ، أو من الصحافة أو بلادنا أو العالم، فقد كان هناك العديد والعديد ممن وقفوا معنا، حيث إن الكثير من الناس لم يكونوا على خطأ.

وفي الحقيقة فقد دُعينا إلى أتلانتا للظهور في برنامج يشاهده جميع من في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم، وانضم حينها جميع من في تيرينغ في مناقشة حول كوننا مسموحًا لنا بالذهاب إلى أمريكا أم لا. لم نُعر اهتمامًا لمواطني تيرينغ ممَّن كانوا ضد الكومة، حيث كان رأيهم أنه لا ينبغي أن يُسمح لنا بالسفر إلى الخارج، وجعلونا وجعلوا أنفسهم وتيرينغ كالحمقى أمام العالم كله، كما لو أن الأمر ليس سيئًا بما يكفي! غير أن بقية الناس كانوا فخورين بالدعوة وبنا وبالمعنى؛ فلم يسبق أن مُنحت تيرينغ اهتمامًا كبيرًا على الإطلاق مَهما حدث.

كان الأغلبية يؤيدون المعنى مع أننا ما زلنا ممنوعين من السفر، وكلما زاد المؤيدون، كان هناك سبب أقوى للاهتمام بنا وبالكومة. ومهما قال الناس في محطات التلفاز، لم يكونوا مستوثقين مما سيحدث لنا في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي. كنا حُزناء بشأن ذلك نوعًا ما، كان شعور الناس بأنهم يجب أن يهتموا بنا زاد من أهميتنا.

لذلك أعدنا تفكيرنا حتى وصلنا إلى 25 جادة ترينغفيج مرة أخرى. كان ذلك في صباح يوم الاثنين المظلم حيث الطقس البارد والعاصف، ولم يكن ممتعًا أن تكون في طريقك إلى المدرسة إن لم يكن ذا معنى. ومع أهمية الرياضيات واللغة الدنماركية والألمانية والتاريخ والأحياء وكل شيء، فقد كان هناك ملل، كنت مع أورسولا ماري وجيردا والآنسة ويليام، وكنا نتصارع مع الرياح ونناقش كوننا ذوي أهمية لاستضافة فريق البرنامج التلفزيوني الأمريكي في تيرينغ، حينها لن يكون علينا الذهاب إلى أمريكا.

كانت الآنسة ويليام في صمت آنذاك، وفجأة قالت وهي تومئ برأسها:

«بالطبع ستكون هنا».

اعتقدت أن ذلك مؤكد، ولكن قبل أن نتناقش في اختيار أفضل مكان في تيرينغ للتسجيل، والملابس التي سنرتديها، قاطعنا أنطون متمتمًا بسخريّة من فوق غصن شجرته:

«أها أها! ما دام أنه غير مسموح لكم بالذهاب، فما الذي يجب عليّ فعله لحمايتكم؟ برأيكم كم تتوقعون من المال الذي ستحصل تيرينغ عليه عند ذهابكم إلى أولئك الصحافيين والمصورين، عوضًا عن مجيئهم إلى هنا، والبقاء في نُزل وفي كل مكان حيث الغرف الشاغرة، كذلك الأكل وشراء البيرة والشوكولاتة والسجائر، فضلاً على إصلاح أحذيتهم وغير ذلك من تلك الأمور؟ أها أها يا لكم من أغبياء!»

أخذ يلوح بقناع البالاكلافا في الهواء وهو يضحك، فصرخت أورسولا ماري قائلة:

«من يضحك كثيرًا، يبكي أخيرًا! فقط انتظر وسترى ذلك، إن لم يُحمل المعنى إلى هناك، فسيأتي فريق البرنامج إليه».

قال أنطون ساخرًا:

«صحيح! فمن يضحك كثيرًا، يبكي أخيرًا. أها أها، نعم أنا على حق!».

ضحك بعدها بصوت عالٍ، وبدا كما لو أنّ الجميع اتفق على ذلك، واتضح بعد ذلك أنه على حق سواء كان على عِلم بما يقوله أو كان يخمن فقط؛ لأننا لم نظهر على شاشة التلفاز في أمريكا والعالم مع أننا أصبحنا مهمين ومشهورين جدًّا، حتى المضيفة كانت كذلك، ولكن لم يكن لديها الوقت الكافي كي تأتي إلى تيرينغ وتتحدث معنا، فكان ذلك سيئًا بما يكفي. وما هو أسوأ أن ذلك زرع فيَّ شكوكًا، وأمورًا غير سارة بأنه ربما لأنطون علاقة بما يحدث، وأن المعنى كان نسبيًّا لهذا كان دون معنى. ولكن لم أخبر أحدًا عن شكوكي؛ لأني لم أكن خائفة من صوفي وحسب، بل أيضًا من ذهاب تلك الشهرة والإيمان بالمعنى؛ لأنه عند ذهابها فسيكون هناك إما الخارج أو لا شيء.

لذلك تظاهرت في الأرجاء وكأني متفوقة، بل كما لو أني وجدت المعنى، وذهبت الشكوك أيًّا كانت، فمن السهل جدًّا التظاهر. وبالتأكيد

كان هناك الكثير ممن وقفوا ضدنا ولكن شدة المعركة حول معنى الكومة تُشير إلى أن الأمر كان ذا أهمية أكبر.

وكانت تلك الأهمية مشابهة تمامًا للمعنى وأهميته، فكانت شكوكي قليلة جدًّا وربما اختفت بعدها. نعم فعلناها وفزنا بالنضال من أجل المعنى في المنزل وأمام الصحافة العالمية. ولكن كان الشيء الغريب هو أن انتصارنا انتهى بشعور المهزوم!

الفصل الحادي والعشرون

كان المتحف كبيرًا، ويضم أهم الآثار، ويقع في مدينة نيويورك، حيث يُشار إليه باختصار غريب يصعب على الطفل نُطقه بشكل صحيح، ولكن كان سخيفًا. كان قد انتهى ذلك النقاش الحامي بعرض ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار من أجل كومة المعنى، وفجأة أصبح الجميع يرى الكومة كفَنّ، ومن يقول غير ذلك فهو شخص جاهل. حتى إن هناك ناقدًا فنيًّا بكبرى الصحف المحلية تعقب الأمر، وقال: إنه درس الكومة من قُرب واتضح أن العمل بالفعل عبقري، حيث يتضمن إبداعًا وتفسيرًا أصليًّا لمعنى الحياة، وعندما قال ذلك كان قد رأى مقدمة العمل فقط، لذلك اعتقدنا أن ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار مبلغ لا بأس به، دون أن نفكر كم يستحق بالفعل.

كان ذلك بسبب المحامي الذي قام بتمثيلنا، ولكنّنا أصررنا على أن الكومة تساوي ثلاثة ملايين وستمائة ألف دولار، وذلك على أساس أنه يجب ألا تبيع شيئًا بسعر أرخص مما يمكنك الحصول عليه. وبالفعل انتهى الأمر بطلب ثلاثة ملايين وستمائة وعشرين ألف دولار، وعليه فسيكون هناك مبلغ كافٍ لندفع ثمن المسيح المعلق على الصليب للكنيسة، الذي لم يعد بحالة تصلح لإعادته إلى الكنيسة.

قبِل المتحف بالمبلغ وتمت الصفقة، وبقي فقط أن نحدد اليوم الذي ستُجمع فيه كومة المعنى، وبالطبع كان هناك العديد من الأوراق والتصاريح التي يتعين علينا إلقاء نظرة عليها، قبل أن تُحمل الكومة إلى خارج حدود البلاد، ولكن في الوقت نفسه ومع الشتاء البارد على غير المعتاد، كانت الأجزاء التالفة من الكومة يزيد تلفها كل يوم بشكل أكبر، ولكن فجأة حُدِّد التاريخ وهو الثامن من إبريل، أي بعد أربعة أسابيع ونصف من ذلك اليوم، فغادر فريق المتحف تيرينغ ومحاموهم والصحافة العالمية وصحافتنا المحلية، ثم عادت تيرينغ مرة أخرى إلى ما كانت عليه في السابق مملة وباهتة.

كان ذلك غريبًا جدًّا؛ فقد وجدنا المعنى وكل شيء، عدة خبراء أعلنوا عن مدى عظمة الكومة، فضلاً على دفع متحف أمريكي لملايين الدولارات، وكانت النتيجة أنه لم يعد أحد يرى ذلك مثيرًا للاهتمام؛ فقد كنا في ذهول؛ إمّا لأن الكومة كانت المعنى بنفسها أو لا. وما دام الجميع اتفقوا على أنها كانت كذلك، فلن يذهب المعنى! فكيف من الممكن أن يحدث العكس؟ طوال ذهابنا إلى المدرسة والعودة منها لم نرَ كاميرا واحدة أو صحافيًّا واحدًا. ذهبنا إلى المعمل ولم نجد أي تغيير بالكومة، فضلاً على أنه لم يكن واضحًا أن بقايا الصغير إميل قد نُقلت من التابوت المحطم إلى تابوت جديد ودُفنت. لم يتغير شيء ولكن في

الحقيقة بدت الكومة أصغر، ومن الممكن أن يكون وهمًا بصريًّا، أليس كذلك؟ بيد أن الحقيقة هي أن كل هذه السمعة والشهرة التي أتت مع مجيء يناير، اختفت في أول أسبوعِ من مارس. قال أنطون وهو يحمل كُرته:

«المعنى يبقى معنى، فإن وجدتموه بالفعل فسيبقى معكم، والصحافة العالمية ستكون هنا حيث تحاول معرفة ما وُجد، ولكنها ليست هنا، لذلك مهما وجدتم فلن يكون ذا معنى؛ لأنّ المعنى لا وجود له!»

حاولنا تجاهله والتباهي كما لو أننا المنتصرون وأصبحنا شيئًا يُذكر. في البداية نجحنا في ذلك فوثقنا بأنفسنا. وأيضًا إعادة قراءة بعض قصاصات الصحف في ألبوم ساعدت على ذلك، فضلاً على مشاهدة جميع المقابلات التلفزيونية من مختلف البلدان التي قام آباؤنا بتسجليها في شريط فيديو. وبعد مُضي مدة من الوقت، بدأت تلك القصاصات تتلاشى والمقابلات أصبحت كوميديا مملة، وبدا أن النصر يحالف أنطون. حينها بدأ شك الخيانة يأكلنا واحدًا تلو الآخر، ولكن لم نسمح لذلك بالاستمرار، مع أن ذلك يُلاحظ عندما نتوقف عن التبسم، ونستبدله بقناع يشبه تمامًا الذي يرتديه الكبار، والذي يوضح أنه ربما لم يكن هناك الكثير مما يهم.

كانت صوفي الوحيدة التي صمدت بيننا حتى النهاية؛ فقد كانت قسمات وجهها الشاحب ونظرات عينيها الحارقة هي التي تمنعنا من الاستسلام. ولكن بعد كل هذا اعترفت بأن أنطون كان على حق.

الفصل الثاني والعشرون

عند انتقالنا للصف الثامن تقريبًا، كان يفترض أن يكون فصل الربيع قد حلّ، ولم يكن ذلك قبل وقت طويل من اختيارنا لمدارسنا الجديدة والكتب، ولم تكن لدينا فكرة حول كيفية التعامل مع أنطون الذي ما زال يُذكّرنا بأنه لا شيء يعني أي شيء. كنا قد ابتعد بعضنا عن بعض، وفقدنا التواصل مع المعنى الذي وجدناه، وانهزمنا مرة أخرى دون أن نعرف كيف حدث ذلك.

ظل مارس يحفنا بنهايات الشتاء، كإشارة إلى أن الربيع لم يأت بعد، في حين ظل الثلج المتأخر يتساقط ويذوب، وسقط مرة أخرى وذاب ولكن بشكل أسرع هذه المرة، واختفت أزهار أرانتيس حيث تجمدت وغطت في سبات بجانب اللون الأبيض. وعندما ذابت الطبقة الأخيرة من الثلج تفتحت من جديد وتنفست الحياة مرة أخرى، ودبت بهجة الربيع بين العشب الذي اختبأ عن فصل الشتاء في تيرينغ. عندما كنا في الصف السابع لم نَعش الحياة ولا بهجة الربيع، فما قيمة الربيع إن لم نذبل ثم نحيا من جديد بمجيئه مرة أخرى، ثم نذبل ونموت؟ ما الذي كنا نفعله حتى نجد المتعة في تحول خشب الزان إلى أوراق، وعودة الزرازير إلى بيوتها، أو ارتفاع الشمس إلى أعلى أكثر في كل يوم جديد.

كل ذلك سيعود إلى ما كان عليه من البرودة والظلام حيث الأزهار النائمة والأشجار العارية من الأوراق. الربيع مجرد تذكير لنا بأننا سنفنى أيضًا، وقريبًا، وفي كل وقت كنت أرفع فيه ذراعيّ كان كتذكير بأنها ستكون لا شيء عندما أُنزلها، وفي كل وقت أبتسم فيه أو أضحك يدهشني كيف أني سأبكي يومًا بنفس الفم الذي كنت أضحك به، وبنفس العينين أيضًا. والآخرون سيستمرون بالضحك حتى يوضعوا تحت الأرض، فقط مسار الكواكب في السماء هو من سيكون أبديًّا.

حتى صرخ أنطون ذا صباح قائلاً: العالم كله متفق على أنه سينهار ذات يوم، مثل الانفجار الكبير الذي حدث ولكن بالمقلوب. كل شيء سيكون صغيرًا جدًّا إلى درجة اللاشيء. لم تستطع الكواكب فعل ذلك، وهكذا مع كل شيء؛ لأن كل شيء لم يعد يُطاق. تحمّلْ كل شيء أو لا شيء، وسنكون كما لو أننا لم نُوجد من الأصل، حيث سيكون كل يوم مثل اليوم التالي، مع أننا كنا نتطلع طوال الأسبوع إلى نهايته، فقد كانت نهاية الأسبوع مخيبة للآمال دائمًا، ثم يأتي يوم الاثنين، وكل شيء يعود كالسابق، كذلك كانت الحياة لا شيء آخر، وفي الوقت نفسه فهمنا ما كان يقصده أنطون ولماذا فعل الكبار ما فعلوه، مع أننا أقسمنا ألا نصبح مثلهم، وهذا ما حدث بالفعل. حتى إننا لم نكن قد بلغنا سن الخامسة

عشرة بعدُ! ثلاث عشرة سنة، ثم أربع عشرة سنة، ونكبر حتى نصبح تحت الأرض.

كانت صوفي هي من تصرخ خلف أنطون كلما عبرنا 25 تيرينغفيج وشجرة الخوخ الملتوية، فقد صرخ أنطون ذات مرة قائلاً:

«نحن في المستقبل».

وهو يلوح بيده كما لو أنه أراد أن نُبصر أن كل شيء انتهى، ولم يتبق شيء لأجلنا إلا تيرينغ وخلو معنى كل شيء. جميعنا حنينا رؤوسنا باستثناء صوفي، صرخت قائلة:

«المستقبل هو ما سَنصنع منه».

فأجاب أنطون:

«هراء! لا يوجد شيء حتى يُصنع منه شيء لأنه لا شيء مهم».

حينها أجابت بغضب:

«هناك الكثير من الأشياء المهمة».

وحملت حفنة من الأحجار بيدها باتجاهه، وبعض منها ارتطم بالمنزل، ولكن ليس بما يكفي لإزعاجه، فقالت:

«تعالَ إلى المعمل وسترى ما يهم».

أدركت آنذاك أن صوفي قصدت ما قالته، فبالنسبة لها كانت كومة المعنى ذات معنى بحق، أو بالأصح كانت الكومة تعني لها شيئًا لم يعد يعني الجميع.

قال أنطون:

«قمامتكم لا تعني شيئًا، ولو كانت كذلك حقًّا لظلّت الصحافة العالمية هنا. وجميع سكان العالم يأتون أفواجًا إلى تيرينغ لرؤية المعنى».

صرخت صوفي بأعلى صوتها:

«بالطبع لن ترى الكومة لأنك لست شجاعًا».

فقال أنطون بهدوء:

«إن كانت كومة القمامة الخاصة بكم تعني شيئًا بسيطًا، فلن أستطيع فعل شيء حيال ذلك، ولكنها لا تعني شيئًا! حتى إنكم لم تستطيعوا بيعها، أليس كذلك؟»

ولأول مرة أرى دموع صوفي منذ أن فقدت عذريتها، ولكن مسحتها بغضب بسرعة بالغة بكفها حتى ظننت أنها لم تكن تبكي. لم تقل شيئًا لأنطون ثم سلكت طريقًا آخر إلى المدرسة، كان قد بقي أسبوع واحد قبل الموعد المحدد اليوم الثامن من إبريل، حيث مجيء فريق المتحف لحزم كومة المعنى وشرائها وإرسالها. أسبوع واحد فقط أثبت أن أنطون على حق إلى الأبد، معظمنا استسلم دون نضال، ولكن فكرة استسلام صوفي

كانت لا تُطاق. وذلك ما حدث بالضبط! ولكنها لم تستسلم بل فقدت عقلها.

الفصل الثالث والعشرون

حدث ذلك فجأة مع أننا كنا مؤمنين بأن ذلك سيحدث، ظلت صوفي واقفة دقيقة بهدوء وسكينة في المعمل ونحن معها، وما إن انتهت الدقيقة حتى بدأت تتجول في الأنحاء وتضرب رأسها في الأعمدة وترمي بنشارة الخشب على كومة المعنى. أرادت أن تتسلقها ثم سحبت الأشياء على حدة، وحاول أوتو وهانز الضخم ضبطها. كان ذلك قد حدث في اليوم الذي سبق قدوم فريق المتحف وحزم الكومة. وبينما كان المعنى أو ما تبقّى منه في الطريق إلى خارج تيرينغ، صرخت صوفي قائلة:

«إنه ملكنا وليس ملكهم!»

أدركنا أنه لأول مرة منذ ستة أيام تنطق صوفي بشيء.

«ولكننا بعناه».

«صحيح ولكن لا نستطيع بيع المعنى».

فأخذت صوفي تضرب بقبضتها صدر أوتو وبطنه، وكنت أرى مدى تألمه، وبعدها أمسك بها هانز الضخم ولوى يديها إلى خلف ظهرها إلى أن تألمت. كانت صوفي على حق، فالمعنى ليس للبيع سواء هناك أو لا، فبيعنا للكومة كان متجردًا من المعنى، هذا إن كان قد بقي منه أي معنى.

ولكن لم أتساءل حيال ذلك؛ لأنه لو بقي من المعنى، لما كانت صوفي على حق بل أنطون. صرخ أوتو قائلاً بغضب:

«هذا ما جنيناه ولا يوجد شيء ليقال».

أدركت غضبه على الفور، هو أيضًا أدرك أنه لا يحق لنا فعل ذلك، حينها صرخت صوفي مرة أخرى:

«ولكن ذلك يعني أنه لا شيء».

«بربك يا صوفي! من يهتم للكومة؟»

بمجرد أن قالها هانز الضخم، وجدت نفسي أفكر في أنه يمكنه بذلك المال الذي حصلنا عليه من فريق المتحف شراء دراجة سباق صفراء جديدة؛ فما الذي لم يهتم له؟

«إن كانت الكومة لا تعني شيئًا، فأنطون على حق بأنه لا شيء مهم».

ومن ثم رحلت صوفي وهي تصرخ قائلة:

«لا شيء».

فقالت جيردا:

«صوفي توقفي!»

ومن ثم قال يوهان:

«نعم! اصمتي يا صوفي!»

وردّد كل من إليز، وحسين، وأورسولا ماري، وكارل، مع الآخرين:

«اصمتي يا صوفي!».

ولكن كان من المستحيل أن تصمت صوفي، فسرعان ما بدأت تصرخ بصوت أعلى:

«لا شيء، لا شيء، لا شيء!»

ظلت تصرخ وتصرخ بكل ما أوتيت من قوة حتى خرقت آذاننا، وشعرنا بالطنين، وكأن كل شيء بدأ ينهار وهذا الأسوأ، كما لو أن الكومة لم يعد لها معنى ومع هذا الصراخ فقدت كامل المعنى تمامًا. تشابه كل شيء، الربيع والصيف، الخريف والشتاء، الفرح والحزن، الحب والكراهية، الولادة والحياة والموت.

لم أكن الوحيدة التي أدركت ذلك، فمع هذا التوضيح كان كما لو أنّ الشيطان نفسه هو من يُحدّثنا، فقد ضرب حسين أورسولا ماري لأنها جعلته يُسلّم سجادة الصلاة، في حين ركله الضخم هانز بسبب دراجته، وخدشت إليز أوتو وضربته بقدر المستطاع، ومن ثم ضربتها أورسولا ماري، وفي الوقت نفسه هاجمت صوفي الضخم هانز وقامت بنتف شعره حتى أصبح بيديها مجموعة كبيرة منه، في حين رمى يوهان بنفسه إلى صوفي وبدأ يلكم، وانضم إليه كارل؛ لأنها هي من اقترح تسليم المسيح والصليب.

وبعدها قام فريدريك بصفع مايكن، ومن ثم بدؤوا يتأرجحون في أرجاء المعمل، ولكن سرعان ما بدأت تصارع مع نفسها عندما وجهت الآنسة ويليام ركلة بين أضلاع فريدريك، ثم توجهت مايكن إلى جيردا في الوقت الذي أطاحت فيه آنا لي بالآنسة ويليام أرضًا، فقامت إنغريد الصغيرة بضربها بعكازتها على رأسها، فأمسك هنريك بإحدى عكازاتها وغرسها في الأرض. هذا ما كنت أشاهده حتى قفزت جيردا نحوي من الخلف وجرّتني إلى الأسفل وهي فوقي، وبدأنا نتأرجح في الأرجاء بين الآخرين. كنا نلكم ولكن ليس بما يكفي، فقمت بشد شعر جيردا وهي كذلك. وبعدها أمسكت جيردا بقرطيّ وقطعت أذنيّ، فصرختُ من شدة الألم، وعندما كانت في وسط ذهولها وجلوسها بعيدًا وبيدها قرطاي، قفزت إليها وأسقطتها أرضًا. تحسست أذنيّ بيديّ، فشعرت بالرطوبة واللزوجة وبدم دافئ، ولم ترَ عينايَ إلاّ المزيد من الدماء في فوضى العراك.

كانت الوجوه والأجساد تنزف دمًا، وسالت وانهمرت الدماء حتى أصبحت تملأ أرضية المعمل، فقد بدا كما لو أراد بعضنا قتل بعض. ولوهلة خطر لي أن أجُرّ أنطون إلى هنا، وسرعان ما حرّرت نفسي من ساقي جيردا، وشققت طريقي بين العراك إلى الباب مباشرة. ركضت بأقصى ما استطعت وكأني لم أركض مِن قبلُ، ثم توقفت لألتقط أنفاسي وأضمد جراحي. كان حلقي مجروحًا وساقاي تنزفان، لكنني ما زلت

أركض، ولم أكن أعلم ما الذي يجب عليّ قوله لأنطون حتى يعود للمعمل، فقد كان كل ما أعرفه هو أنه يجب عليه أن يعود، نحن بحاجة إليه لذلك يجب عليه أن يعود.

كان أنطون يجلس على غصن شجرة الخوخ، ويحدق بلا معنى، كنت أستطيع رؤية سترته الزرقاء من بعيد بين البراعم الخضراء، فركضت حتى وصلت إلى الشجرة، لكن توقفت عند الرصيف. لم أستطع حتى قول كلمة في البداية، كنت فقط أسعل وأبصق، وأحاول جاهدة أخذ نفس عميق يملأ رئتيّ. أدرك أنطون حجم جهدي، وبالطبع كانت فرصة له للتسلي بذلك، قال بنبرة سخرية واضحة:

«ما الذي ندين لك به يا أغنيس؟»

«لقد جُنّت صوفي! لقد هاجوا جميعًا فيجب أن تأتي».

قلتها متجاهلة سخريته، قلتها وأنا أتلعثم، أحاول التنفس بقدر المستطاع. أردت قول المزيد كمحاولة لإقناعه مع أنني لم أكن أعلم ما الذي يجب عليّ قوله، ولكن انزلق متعلقًا بالغصن دون أن يقول كلمة، وبعدها انزلق إلى الأسفل نحو العشب، واختفى لحظة في الفِناء، ثم ظهر مرة أخرى ممسكًا بدراجته الرجالية القديمة، وانطلق بها دون أن يمنحني فرصة للحاق به، وعندما وصلت إلى المعمل، كانت دراجته ملقاة على جانب الطريق حيث تركها ولا يوجد أثر لأنطون.

كان المكان صامتًا، فدفعت الباب بحذر ودخلت، كان مشهدًا مروعًا! فقد رأيت الصف السابع مصطفًّا بشكل شبه دائري حول أنطون. الأنوف معوجة، والحواجب مقطوبة، والأسنان مفقودة، والشفاه متورمة ومجروحة، إضافةً إلى العيون الحمراء والكدمات والآذان المقطوعة. وكان واحد أو اثنان منهم يقفان بشكل مستقيم بصعوبة بالغة، والجميع ملطخ بالدم ونشارة الخشب، ولكن لم أكن أرى إلا الكُره، والكثير من الكُره، الجميع قد اصطف بعضهم ضد بعض. أغلقت الباب، وتوجهت إلى جدار المعمل، وذهب أنطون يقلب ناظريه بينهم، وصرخ فيهم قائلاً:

«يا لغبائكم!»

أومأ برأسه، وتقدم قليلاً ثم أضاف:

«إن كان لا يوجد ما هو مهم، فلا شيء يستحق الغضب بشأنه، وإن كان لا شيء يستحق الغضب، فلا شيء يستحق القتال لأجله!»

ونظر إلى كل واحد منا كما لو أنها نظرة تحدٍّ، فركل نشارة الخشب وهو يضحك بسخرية، وقال:

«ماذا تفعلون؟ أكُلّ هذا القتال من أجل كومة قمامة؟»

كان يشير إليها باشمئزاز، ولكن سرعان ما لفت انتباهه شيء مما كان يصعب قوله، فتقدم أنطون إلى الكومة وتجول حولها ببطء. تفحص تابوت إميل الصغير وجثة سندريلا المتعفنة لحظة، لاحظ وجود رأسها في الأعلى،

ثم رأى التليسكوب وعَلم الدنمارك، وانتهى عند المسيح المدنّس، وشاهد قفازات الملاكمة والأفعى التي بوسط البرطمان والضفائر الزرقاء الست، ثم أطال النظر إلى سجادة الصلاة والعكازات، وأوسكار الصغير الميت، وسبابة يوهان المتصلبة، وبعدها رأى شيئًا جعله في حيرة من أمره، فسأل مشيرًا إلى المنديل المربع:

«ما تلك الخرقة؟»

فصرخت صوفي بشكل هستيري:

«إنه المعنى».

«المعنى؟»

نظر أنطون إلى الجميع وكأن شيئًا أصابه! فانفجر من شدة الغضب قائلاً:

«إذًا فهذا هو المعنى».

أمسك بكتف صوفي، وهزها حتى توقفت عن الصراخ وقال:

«ألهذا السبب بعتِه؟»

فهمست صوفي:

«إنه المعنى».

«أها! المعنى؟ أجل. إن كانت كومة القمامة هذه تعني شيئًا ما، فقد اختفى منذ أن بعتموه لأجل المعنى».

قالها أنطون ساخرًا، وضحك مرة أخرى، ترك صوفي ونظر إلى جيردا قائلاً:

«كم كان ثمن أوسكار الصغير يا جيردا؟»

لم تجب جيردا، فقط خجلت ونظرت إلى الأسفل، ومن ثم وجه أنطون ناظريه إلى العَلم لحظة، وبعدها نظر إلى فريدريك، وقال ساخرًا:

«للملك، للوطن! هل بعته من أجل مال قذر يا فريدريك؟ سعيد لأني لن أخوض معك عراكًا كالمعتاد».

امتلأت عينا فريدريك بالدموع، ونظر أنطون بعد ذلك إلى حسين قائلاً:

«ماذا عن سجادة الصلاة يا حسين؟ ألم تعد تؤمن بالله؟ كم ثمن إيمانك؟»

كان حسين واقفًا مطأطئ الرأس، في حين استمر أنطون في ذكر الأشياء واحدًا تلو الآخر في كومة المعنى، ونحن لا نزال نتلوّى.

«لماذا لم تقطع كامل يدك يا يوهان، إن كنت على استعداد لبيع إصبعك إلى أكبر مزايد؟ وأنتِ يا صوفي، ما الذي تبقّى لكِ بعدما قمتِ ببيع نفسك؟»

سألَنا أنطون ولكن لم نجبه، كنا فقط نحك أقدامنا بنشارة الخشب؛ لأننا لم نجرؤ على النظر إليه، ولا إلى أن ينظر بعضنا إلى بعض، فأضاف قائلاً:

«إن كانت الكومة تعني لكم شيئًا فلن تقوموا ببيعها، أليس كذلك؟»

هنا ختم أنطون خطبته العنيفة، وأشار بيده إلى الكومة، نعم لقد انتصر ولكن اقترف خطأ بعد ذلك عندما أدار ظهره لنا.

مكتبة Telegram @t_pdf

الفصل الرابع والعشرون

كانت صوفي أول من اندفع إليه في حين بقينا واقفين حيثما كنا، استطاع أنطون التخلص منها بسهولة ونحن لم نستطع. ومن ثم تبعها يوهان وبعده حسين ففريدريك، فإليز، فجيردا، فآنا لي، فكارل، فأوتو وهانز الضخم، حتى أصبح جميع من في المعمل يركل ويلكم أنطون. لا أعلم هل كان ذلك مروعًا عند النظر إليه بعد كل هذا أم لا، مع أنه كان كذلك بالفعل، ولكن لا أستطيع أن أتذكر فقد كان ما يحدث أكثر من فوضى، وفي الحقيقة كان من المنطقي ضرب أنطون وركله لأنه ذو معنى! كان على الأرض ولا يستطيع الدفاع عن نفسه، حتى إنه توقف عن ذلك، فهو من أخذ كومة المعنى منا مثلما أخذ منا المعنى سابقًا، لذلك فهي غلطته.

هو من جعل يوهان يفقد سبابته، وسندريلا حياتها، ومسؤول عن تدنيس كارل للمسيح، وخسارة صوفي لعذريتها، وفقدان حسين لإيمانه. كان ذلك خطأه عندما فقدنا تطلعاتنا للحياة والمستقبل، وجعلنا على حافة الهاوية. الشيء الوحيد الذي كنا مستوثقين منه هو أنها غلطة أنطون، وعليه أن يدفع الثمن. لا أعلم كيف كانت حالته عندما غادرنا المعمل أو كيف يبدو، مع أن ذلك لم يكن ما قلته للشرطة. فقد كان مستلقيًا على

الأرض، ورقبته ملتوية، ووجهه أزرق متورمًا، والدم ينزف من أنفه وفمه، والجزء الخلفي من يديه تلون وهو يحمي وجهه بهما.

كانت عيناه مغلقتين، ولكن عينه اليسرى منتفخة ومنحرفة بشكل غريب بجانب ميلان حاجبه المجروح، إضافة إلى ساقه اليسرى المكسورة من زاوية غير طبيعية، ومرفقه الأيسر ملتوٍ نحو اتجاه خطأ. كان هادئًا عندما غادرنا، ولم نقل له وداعًا، ولم نقل وداعًا حتى لأنفسنا، وفي نفس الليلة احترق المعمل كله!

الفصل الخامس والعشرون

ظل المعمل يحترق حتى صباح اليوم التالي حتى انطفأ. وصلت متأخرة آنذاك في حين كان الجميع هناك منذ الصباح الباكر، واكتفينا بالترحيب فقط. ألقيت نظرة على ما تبقّى، ولم أجد إلاّ شعلة حريق صغيرة، كان من المستحيل أن نفرق بين بقايا المعمل والكومة، لا يوجد سوى جزء من جدران المعمل إذ كانت متفحمة تمامًا، ولم يبق شيء آخر سوى الرماد. تجمهر بقية الناس تدريجيًّا وكامل صفنا، لم ينطق أحد، لا آباؤنا ولا الشرطة ولا صحيفة يوم الثلاثاء، حتى فريق المتحف في نيويورك، وسواء أتت الصحافة العالمية أم لا، لن يكون هناك شيء نقوله لهم.

لم نُسأل عن أنطون، وكان ذلك قبل أن يربط أحد هذه الحادثة باختفائه منذ اليوم السابق. اتضح ذلك في مساء ذلك اليوم عندما وجدوا بقاياه المتفحمة بالقرب من الكومة، حينها أدركت الشرطة أن أنطون هو من أشعل النار بالكومة والمعمل؛ لأنه لم يتقبل فكرة أننا وجدنا المعنى وأصبحنا مشهورين، ولم نعارض ذلك. كان من المحزن فقط أنه لم يستطع إنقاذ نفسه من ألسنة النار، حضرنا الجنازة حتى إن بعضنا قد بكى، وأنا أومن بذلك بصدق لأني كنت منهم، وقد خسرنا مال المتحف، إذ لم يفكر أحد في تأمين كومة المعنى، ولكن لم يكن هذا السبب وراء

بكائنا، بل لأنه كان محزنًا وجميلاً مع كل تلك الورود وزهور فصلنا البيضاء.

بكينا بسبب ذلك التابوت الأبيض المنقّط اللامع والصغير، مع أن حجمه ضعف تابوت إميل الصغير مرتين، فقد انعكس ضوء منه مع انعكاس ضوء نظارة والد أنطون. بكينا بسبب تلك الموسيقى التي يتردد صداها بداخلنا، حيث أخذت تزيد وتزيد حتى خارت قوانا. نعم كانت تلك هي الأسباب وراء دموعنا سواء كنا نؤمن بالرب الذي نغني لأجله أحيانًا أو لا نؤمن به على الإطلاق. بكينا لأننا خسرنا شيئًا وكسبنا شيئًا آخر، وكلاهما يؤلم! ولأننا نعرف ما خسرنا، لم تستطع كلماتنا وصف ما كسبنا.

وبعد أن دفن تابوت أنطون المنقّط في القبر، والتجمع مع الكوميون في 25 جادة تيرينغفيج والسيد إسكيلدسن والد أنطون والعديد من الناس، لم يعترف أحدنا. ذكرت عائلة أنطون الكثير من الأشياء الجديرة بالتقدير عن أنطون، الذي بدا وكأننا نعرفه، ثم ذهبنا إلى المعمل المحترق، ولكن رأينا بعد ذلك أنه ليس من المناسب أن نتقابل هناك في ذلك اليوم. ولأول مرة بعد عدة أشهر غادرنا عند الساعة الثالثة، وسلكنا أربعة طرق مختلفة. لم يعد المكان كما كان سابقًا، محترقًا، فقد أُخمد الجمر وبقي الرماد والأنقاض المتفحمة، رمادية وسوداء جافة. وكان الرماد في مكان الكومة

تحديدًا أكثر سُمكًا، مع صعوبة تأكيد ذلك. كان المكان مبعثرًا بأجزاء من السقف وما تبقى من الأعمدة والعتبات، فتشاركنا لترتيب المكان مع أن العمل كان شاقًّا، واكتسينا جميعًا باللون الأسود حتى ما تحت ملابسنا.

تحدثنا قليلاً حينها مشيرين إلى أننا بحاجة إلى شخص ما يكون مسؤولاً عن العتبات أو الحصى، فوجدنا بالقرب من حاويات القمامة عُلبًا زجاجية فارغة، وحاويات بلاستيكية وعلب ثقاب، أي شيء يمكننا استخدامه. وذهبت صوفي إلى منزلها لترى ما الذي تستطيع استخدامه، وفي نهاية المطاف أصبح لدى كل منا إناء، فقمنا بجمع الرماد بأيدينا، وكانت الأواني مغلقة بعناية بغطاء يميل إلى اللون الرمادي، وهي ما تبقت من الكومة، وكنا بحاجة إلى أن نتماسك مع أن أنطون لم يعد موجودًا ليصرخ فينا من شجرة الخوخ في 25 جادة تيرينغفينج، ولكن ما زلنا نسمع صوته كلما مررنا من هناك:

«السبب وراء الاحتضار يسير! وهو «أن الموت لا معنى له» في حين سبب الموت هو أن الحياة لا معنى لها، أترون؟ أتمنى أن تستمتعوا بأوقاتكم».

الفصل السادس والعشرون

كنا في ذلك الصيف متوزعين في مدارس كبيرة، شمالاً وجنوبًا، شرقًا وغربًا، وقد أُرسلت صوفي إلى مكان حيث يحمون الناس من أنفسهم، مثلها. وتوقفنا عن اللعب معًا ولم نلتق مرة أخرى ولو عن طريق المصادفة على الطريق. لم يحاول أحد أن يجمعنا، أو أن يلم شملنا في فصل أو مجموعة أو أي شيء من هذا القبيل، مع أنه لدي شكوكي في أنه لو خطرت هذه الفكرة لأي معلم لفعلها.

والآن بعد مرور ثماني سنين، لم أزل أحتفظ بعلب الثقاب التي تحوي رماد المعمل وكومة المعنى. كنت بين الفينة والأخرى أُخرجها وأنظر إليها. وحين أفتح اللوح البالي، وأنظر إلى الرماد، أُحسّ بشيء غريب! حتى لو أنني لم أستطع وصفه، أعلم أنه ذو معنى، وأن ذلك المعنى ليس شيئًا يمكنني تجاهله، فهل هو بيير أنطون فعلاً؟

مكتبة Telegram @t_pdf